ريموند وليمز

الكلمات المفاتيح

ترجمة: نعيمان عثمان

المركز الثقافي العربي

ريموند وليامز

الكلمات المفاتيح

ريموند وليمز

الكلمات المفاتيح

معجم ثقافي ومجتمعي

ترجمة: نعيمان عثمان

تقديم: طلال أسد

المركز الثقافي العربي

الكتاب
الكلمات المفاتيح
معجم ثقافي ومجتمعي
تأليف
ريموند وليامز
ترجمة
نعيمان عثمان
الطبعة
الأولى، 2007
عدد الصفحات: 336
القياس: 17 × 24
الترقيم الدولي:
ISBN 9953-68-194-5

جميع الحقوق محفوظة

الناشر
المركز الثقافي العربي
الدار البيضاء ــ المغرب
ص.ب.: 4006 (سيدنا)
42 الشارع الملكي (الأحباس)
هاتف: 2303339 ـ 2307651
فاكس: 2305726 ـ 2 212+
Email: markaz@ wanadoo.net.ma

بيروت ــ لبنان
ص.ب.: 5158 ـ 113 الحمراء
شارع جاندارك ـ بناية المقدسي
هاتف: 01750507 ـ 01352826
فاكس: 01343701 ـ 961+
www.ccaedition.com

Email: cca@ccaedition.com

صدرت الطبعة العربية الأولى
من هذا الكتاب عن:
المجلس الأعلى للثقافة في مصر

العنوان الأصلي

Keywords
A vocabulary of culture and society
By Raymond Williams
(London: HarperCollins, 1976, 1983)

المحتويات(*)

تقديم: الدكتور طلال أسد 11
مقدمة المترجم 15
ريموند وليمز 23
مقدمة الطبعة الثانية 25

مقدمة		27
جمالي (الجمالية)	AESTHETIC	41
استلاب	ALIENATION	42
الفوضوية	ANARCHISM	46
أنثروبولوجيا - علم الإناسة	ANTHROPOLOGY	47
فن	ART	50
سلوك	BEHAVIOUR	52
برجوازي	BOURGEOIS	55
بيروقراطية	BUREAUCRACY	58
رأسمالية	CAPITALISM	59
مهنة/ سيرة	CAREER	61
إحسان/ بر	CHARITY	62
مدينة	CITY	64
حضارة	CIVILIZATION	65
طبقة	CLASS	68
تجمع	COLLECTIVE	77
تجارية	COMMERCIALISM	78

(*) في الأصل، تم ترتيب الكتاب حسب الألفباء الإنكليزية، لذلك عند البحث عن أي كلمة يجب اتباع الترتيب الألفبائي الإنكليزي.

78	COMMON	عام/ شائع/ فج/ مشترك
80	COMMUNICATION	اتصالات/ مواصلات
81	COMMUNISM	شيوعية
82	COMMUNITY	جماعة
84	CONSENSUS	إجماع
86	CONSUMER	مستهلك
87	CONVENTIONAL	تقليدي
88	COUNTRY	بلد/ ريف
89	CREATIVE	خلاق/ إبداعى
92	CRTICISM	نقد
94	CULTURE	ثقافة
100	DEMOCRACY	ديمقراطية
104	DETERMINE	يحدد/ يحتم
109	DEVELOPMENT	تنمية/ تطور
111	DIALECT	لهجة
112	DIALECTIC	جدلي/ ديالكتيكي
114	DOCTRINAIRE	نظري/ لا عملي
115	DRAMATIC	دراماتيكي
116	ECOLOGY	إيكولوجيا/ علم البيئة
117	EDUCATED	متعلم
118	ELITE	نخبة
121	EMPRICAL	امبيريقي/ تجريبى
123	EQUALITY	مساواة
125	ETHNIC	اثني
125	EVOLUTION	نشوء/ تطور/ ترقي
128	EXISTENTIAL	وجودي
131	EXPERIENCE	خبرة/ تجربة
134	EXPERT	خبير
134	EXPLOITATION	استغلال/ استثمار
135	FAMILY	عائلة

139	FICTION	خيال/ تخيل/ رواية
140	FOLK	فولك/ شعب
142	FORMALIST	شكلاني
145	GENERATION	جيل
146	GENETIC	جيني/ وراثي
147	GENIUS	نبوغ/ نابغة/ عبقري
148	HEGEMONY	هيمنة
150	HISTORY	تاريخ
152	HUMANITY	إنسانية
155	IDEALISM	مثالية
157	IDEOLOGY	ايديولوجيا
160	IMAGE	صورة
161	IMPERIALISM	إمبريالية
163	IMPROVE	يحسّن
164	INDIVIDUAL	فرد/ مفرد
167	INDUSTRY	صناعة/ جهد/ كد
170	INSTITUTION	مؤسسة
171	INTELLECTUAL	مفكر/ مثقف/ فكري
173	INTEREST	حصة/ مصلحة/ أهمية
175	ISMS	مصادر/ اسماء صناعية
176	JARGON	رطانة، لغة اصطلاحية
177	LABOUR	شغل/ عمل
180	LIBERAL	ليبرالي/ تحرري/ منادٍ بالحرية
183	LIBERATION	تحرير/ اطلاق/ تحرر
185	LITERATURE	أدب
189	MAN	رجل/ انسان/ بشر
191	MANAGEMENT	إدارة/ تدبير
193	MASSES	جماهير، العامة، طبقة عاملة
199	MATERIALISM	مادية
202	MECHNICAL	ميكانيكي

269	REVOLUTION	ثـورة
273	ROMANTIC	رومانسي (الرومانسية)
275	SCIENCE	علـم
279	SENIBILITY	حساسية
282	SEX	جنس
285	SOCIALIST	اشتراكي
290	SOCIETY	مجتمع
294	SOCIOLOGY	علم اجتماع/ سوسيولوجيا
294	STANDARDS	معايير
298	STATUS	منزلة
300	STRUCTURAL	بنائي
306	SUBJECTIVE	ذاتـي
310	TASTE	ذوق
312	TECHNOLOGY	تكنولوجيا
313	THEORY	نظرية/ تنظير
316	TRADITION	تراث/ تقاليد
317	UNCONSCIOUS	لاوعي
321	UNDERPRIVILEGED	غير ميسور/ مضطهد
322	UNEMPLOYMENT	بطالة
324	UTILITARIAN	منفعي/ نفعي
326	VIOLENCE	عنـف
327	WEALTH	غني/ ثروة/ وفرة
328	WELFARE	رخاء/ رفاهية
329	WESTERN	غربي
331	WORK	عمل/ شغل

المراجع وببليوغرافيا مختارة 334

إيضاحات:

استعملت هذه الاختصارات في النص:

ام : انظر المادة

اق : لغة إنجليزية قديمة

ام م : انظر المواد

س ب : سابقة بعيدة للكلمة

س ق : سابقة قريبة للكلمة

ف : لغة فرنسية

ق : قرن

قروسطى : قرون وسطى

ل : لغة لاتينية

م ق : منتصف القرن

مصدر الاقتباسات التي تظهر في النص متبوعة باسم وتاريخ أو بتاريخ فقط هو قاموس أكسفورد المعروف OED. أما الاقتباسات الأخرى فإنها تتبع بإشارة إلى مراجعها؛ والإحالات إلى المصادر الثانوية مرتبة حسب اسم المؤلف كما هو مسجل في قائمة المراجع والببليوغرافيا المختارة.

تقديم: الدكتور طلال أسد(*)

يمكن المجادلة بأن كتاب «الكلمات المفاتيح»، الذي صدر للمرة الأولى في 1979، هو أكثر مؤلفات الناقد الثقافي الشهير ريموند وليمز صمودا في استمرار تأثيره. فرغم مرور ثلاثين عاما على نشر مراجعاته التاريخية القصيرة لمفردات تعتبر الآن محورية بالنسبة للخطاب العام في عالم الناطقين بالإنجليزية إلا أنها لا تزال تستحق القراءة بتمعن. حتى يومنا هذا كثيرا ما يقرر هذا الكتاب ضمن مواد الدراسة للطلاب الجامعات. يكتسب قارىء كل مواد الكتاب وعيا عميقا بالكيفية التي تعبر بها اللغة المتطورة عن الحياة الاجتماعية الحديثة.

يستحق الدكتور نعيمان عثمان التهنئة على إتاحة الكتاب للقراء العرب في هذه الترجمة الدقيقة. هناك أمل بأن هذا سيزيد من وعيهم أكثر من أي وقت مضى بالصلات المعقدة بين اللغة والحياة الحديثة، وسيزيد من إحساسهم بالطبيعة الخلافية للأفكار العامة في الحداثة. ربما يؤدي ذلك في النهاية إلى القيام بجهد مماثل عن تطور «كلمات مفاتيح» في اللغة العربية نفسها ولها. لابد وأن يكون مشروع من هذا القبيل أكثر من مجرد تاريخ للكلمات إذ يتوجب أن يكون أيضا تاريخا للمفاهيم المركزية وللحياة السياسية والأخلاقية والاقتصادية التي تنظمها جزئيا هذه المفاهيم وتمثل فيها.

(*) الدكتور طلال أسد هو أستاذ مميز Distinguished Professor للأنثربولوجيا في مركز الدراسات العليا في جامعة مدينة نيويورك وله باع طويل في مجالى التنظير السياسي والديني. أحدث كتابين له هما:

- Genelogies of Religion الذي أصدرته مطبعة جامعة جونز هوبكنز، 1993 .
- Formation of the Secular الذي أصدرته مطبعة جامعة ستانفورد، 2003 .

وقد ترجم الكتابان إلى عدة لغات آخرها اليابانية. وأخيرا هناك كتاب يتناول بالنقاش أفكاره:
Power of the Secular Modern: Talal Asad And His Interlocutors (Cultural Memory in the Present) by David Scott (Editor), Charles Hirschkind(Editor)

الذي أصدرته مطبعة جامعة ستانفورد، 2006.

يتحدث ريموند وليمز في مقدمته عن استحالة القيام بعمله هذا لولا توفر قاموس أكسفورد New English Dictionary on Historical Principles المعروف بحروف كلماته الأول .O.E.D. هذا القاموس متعدد المجلدات، الذي يرصد الاستعمالات العامة للكلمات في تسلسل تاريخي معززة باقتباسات من مصادر مكتوبة، ليس هو بالتأكيد الصورة التامة للطريقة التي تطورت بها اللغة. في أية لغة ثرية لاتغيب عن أذهان المصنفين تنوعات أخرى كثيرة فحسب وإنما كذلك بالضرورة لن يحظى جانب الكلام المحكي بتمثيل مناسب في قاموس يكاد يكون اعتماده كليا على مصادر أدبية. مع ذلك فإن قامس أكسفورد منطلق لاغنى عنه لفهم الطبيعة التاريخية للغة الإنجليزية، وبالتالي الطبيعة التاريخية لكل الحياة الاجتماعية التي ندركها ونحياها في تلك اللغة. إنه لمبعث للحسرة أن لا يكون لدينا قاموس كهذا للعربية الحديثة. لا شك أن قاموسا عربيا يرتكز على قواعد تاريخية هو أمر جوهري لتتبع كثير من التحولات الأساسية في حياتنا وتفكيرنا الجمعيين: تغييرات بنيوية في الطرق التي نتفاعل فيها مع بعضنا ومع أنفسنا. يتوجب على من يكون لديه اهتمام بمسائل تاريخية مثل هذه أن يبدأ بالعودة إلى سلسة متعاقبة من القواميس ـ على سبيل المثال، لسان العرب وتاج العروس ـ التي تشكل نقطة انطلاق للتحرى، فما من مرجع هناك يعوّل عليه في معرفة الاستعمالات اللغوية الدقيقة عبر عدة قرون. من الطبيعي أن القواميس الكلاسيكية اعتبرت في المقام الأول معيارية وليس وصفية، أي أنها اعتبرت السلطة النهائية للاستعمال «الصحيح». لكن بالنسبة للبحث التاريخي عن تحول المجتمع والسياسة فإن هذا الزعم نفسه هو حقيقة اجتماعية وصفية، والثبات اللغوي الذي تفترضه هو نفسه موضع شك.

بشكل أساسي يعتمد كتاب ريموند وليمز الرائع على قاموس أكسفورد لكنه لا يقف عنده. إنه يسعى إلى وصف السياق الذي تتشكل فيه الكلمات، رغم أن المرء يتمنى أحيانا لو تسنى له أن يتوسع أكثر في ذلك. لا شك أن كل من اشتغل بهذه المسائل يعرف حق المعرفة أن «الكلمات» ترتبط بكل من «المفاهيم» و«الأشياء»، لكن هذه ليست البتة علاقة بسيطة: كلمة مقابل «مفهوم» أو مقابل «شيء». علاوة على ذلك، ترتبط الكلمات بعضها ببعض في شبكة من المعانى. تستدعى الضرورة سك كلمات جديدة أو استعارتها للتعامل مع صيغة حياة جديدة بينما في المقابل تفقد كلمات قديمة معانيها. ويجعل هذا كتابة المواد أمرا صعبا لأن المرء يحتاج معرفة نوعية العلاقات بين الكلمات والمفاهيم وصيغ الحياة. كان وليمز دونما شك على وعي بهذا التعقيد لكنه لم يفسح المجال كثيرا لنفسه ليتسنى له استكشاف العلاقات بشكل تام. بالمقارنة مع تصنيف أخر هو التاريخ المفاهيمي الألماني

المعنون: Geschtliche Grundbegriffe. Historisches Lexikon zur Politisch-sozialen Sprache in Deutschland (مفاهيم أساسية في التاريخ: قاموس يعتمد على المبادىء التاريخية للغة الاجتماعية والسياسية في ألمانيا) فإن مجاله يبدو محدودا. على سبيل المثال، بينما نجد عند وليمز صفحة واحدة عن «Anarchism الفوضوية» فإن القاموس الألماني يخصص ستين صفحة لهذه المادة. بالطبع القاموس الأخير يتكون من ستة مجلدات وشارك في كتابته فريق من الباحثين (صدر المجلد الأول في 1971). بالرغم من عنوانه فإنه لا يقتصر على الاستعمال في الألمانية بل يشمل لغات أخرى وفترات تسبق العصر الحديث. ويسعى هذا القاموس بطريقة منهجية إلى ربط تاريخ المفاهيم بالتاريخ الاجتماعي. لكننا عندما نتذكر أن «الكلمات المفاتيح» هو جهد مؤلف واحد ونتاج سنين عديدة من التجميع الصبور وتسجيل الملاحظات بطول أناة فإن الكتاب لا بد وأن ينال منا كل الاعجاب.

بخلاف مسألة طول أو قصر المواد هناك السؤال المهم عن الكلمات التي اختيرت على أنها مركزية والأسباب وراء ذلك. في «الكلمات المفاتيح» لا تشير المواد إلى الطريقة التي نعيش بها وكيف نتجادل حولها فحسب، بل تنبئنا أيضا عن ما يعتبره المؤلف هاما. لذا لا تحظى لا الكلمة «دين» ولا «علمانية» بأي اهتمام. بالنسبة لوليمز، لا أهمية لأي منهما في الحياة الحديثة، فالأولى تدل على طريقة حياة تسبق العصر الحديث (حسب الفرضية العلماتية، لابد وأن يذوي الدين كلما تطور المجتمع) والأخرى، لذات السبب المذكور توا، لأنها الأساس الفعلي للحياة الحديثة. لست من هذا الرأي. لكن حتى لو افترضنا صحته فإني أعتقد بأنه من الأهمية بمكان التعمق في الكلمات الموجودة فعلا ولكن مع ذلك تعتبر مهجورة، أو تلك التي درجنا عليها وأصبح مسلما بها لدرجة أنها لا تلاحظ بسهولة في حياتنا الاجتماعية.

للسبب ذاته أعتقد أن مدخل وليمز عن «Tradition تقاليد(تراث)»(*) ليس مرضيا. يميل الكاتب إلى اعتبار التقاليد «زعما باستمرارية القديم» و«عملية انتقاء من الماضي» تخفي الأساس الذي بني عليه هذا الانتقاء. بعبارة أخرى، تعتبر «التقاليد» وسيلة للاحتفاظ بهيمنة الطبقة الحاكمة. لكن حتى في عالم الناطقين بالإنجليزية ثمة كتابات كثيرة عن

(*) يعترض الدكتور طلال أسد على استعمال كلمة «تراث» مقابل «tradition» ويرى أن المقابل المتاح وليس الأفضل هو «تقاليد». لذا يجب أخذ هذا التحفظ الهام في الاعتبار كلما ترد كلمة «tradition» في هذا الكتاب، وبالذات في المادة المخصصة لهذا المصطلح التي أبقت على كلمة «تراث» واسعة الانتشار.

«التقاليد» فبها مراجعة لأشياء مثل «الزمن» و«التجسّد» و«السلطة». أشير هنا إلى كتّاب مثل حنا أرندت ومايكل أوكشوت وألاسدير ماكنتاير. ليس غرضي هنا القول إن كل ما كتبه هؤلاء الأشخاص يتفوق على آراء وليمز. ما أقوله ببساطة هو أن مفهوم «تقاليد»، وليس مجرد الفحوى الإمبيريقية لتقاليد معينة، هو موضوع خلافات معقدة حول جوانب من المجتمع والثقافة الحديثتين، وليس ثمة حس كاف بذلك في هذا المدخل من الكتاب. فبالرغم من أنه تحت غطاء «احترام التقاليد» كثيرا ما استعملت أفكار «الاستمرار التاريخى» و«الاستقرار(التاريخى)» كوسيلة لإضفاء الشرعية على حكم غير عادل، فإنه على نفس الدرجة من الصحة كثيرا ما استخدمت بنفس الطريقة أفكار حول «القطيعة مع الماضي» و«التغيير الجذري». إن «التقاليد» مفهوم معقد له تاريخ معقد وليس له مقابل عربى بسيط. تعبر عن هذا التعقيد ملاحظة ليدفج فتنجشتين: «ليست التقاليد شيئا يمكن للمرء تعلمه، وليست خيطا يمكن التقاطه متى شاء، تماما مثلما لا يستطيع اختيار أسلافه. من يفتقد التقاليد ويود الحصول عليها مثله مثل رجل غير سعيد في حبه».

في النهاية يجب القول بوضوح تام إن كتاب ريموند وليمز «الكلمات المفاتيح» إنجاز لافت، ولا يستطيع أي فرد يسعى إلى فهم العالم الحديث الاستغناء عن وعي تام لما يحاول الكاتب إيضاحه. فالتغيرات في مفرداتنا الاجتماعية - والظروف الاقتصادية والسياسية والاجتماعية المتبدلة التي تندمج فيها تلك المفردات - تفتح احتمالات جديدة أمامنا وتستبعد طرق التفكير والحياة القديمتين. يبقى السؤال: ماذا يمكن أن يفيدنا تطور «الكلمات العربية المفاتيح» التي نستعملها في عالمنا عن الحدود وحياتنا الجمعية وفرصها؟ بماذا يبوح كتاب مثل هذا عن العالم الذي فقدناه والعالم الذي كسبناه الآن؟ ذلك هو ما أرجو أن يكون مشروعا قادما للدكتور نعيمان عثمان.

مقدمة المترجم

ليس لريموند وليمز حضور في الثقافة العربية يوازي أو حتى يقترب من الأسماء التي لمعت مثل بارت أو فوكو ودريدا في فرنسا وإلى حد أقل بول دي مان وستانلي فش في أمريكا ولم يترجم له حسب علمي إلا كتابان من كتبه التي فاقت العشرين: أحدهما The Politics of Modernism طرائق الحداثة[1] تجميع لمقالات نشرت معا بعد وفاته والآخر- كما يشير غلاف الكتاب المترجم- «الدراما من إبسن إلى برخت». نشر له بعد وفاته كتابان آخران سوى الطرائق الذي يحوي مقالات مهمة إلا أن قارئه العربي لن يفتقد فقط عظم تأثير وليمز ولكن سيعتبره، كما يذكر التعريف بالمؤلف، مجرد «أحد أهم النقاد الإنجليز المعاصرين» «مختصرا نشاطه في «أستاذ للدراما بجامعة كمبردج حتى تقاعده في 1983». دور وليمز كان حاسما في مجالات مختلفة من الكتابة والتنظير إلى جانب العمل السياسي وتجاوز الحدود الضيقة لبعض المعارف إذ أنه من أهم مؤسسي ما يعرف الآن بـ «الدراسات الثقافية» التي لها صلات بكل الحركات الفكرية التي اكتسحت أوربا وأمريكا من بنيوية وتفكيكية وسيميائية ونسيوية ودراسات المهمشين والتابعين والثقافة الشعبية والإعلام والإيكولوجيا. كذلك كان لوليمز دور سياسى واجتماعى أساسي في صياغة بيانات سياسية وفى إصدار المجلة التي لاتزال مؤثرة The New Left Review. أما في مجالات المعرفة فقد شملت اهتماماته بالإضافة إلى الأدب والمسرح علوم الاجتماع والاقتصاد والفلسفة والتاريخ والإعلام والتعليم. لذا ليس بالمستغرب أن يرتبط اسمه حسب الاهتمام بكل من هوجارت وتومبسون وإريك هوبسبوم و- في مرحلة لاحقة - إدوارد سعيد كزملاء ورفاق كما يرتبط بستيوارت هول وريشارد جونسون وبمدرسة فرانكفورت النقدية وببارت وبورديو ومارشال مكلوهان وفريدريك جيمسون وربما روبرت ميرتون.

حظيت اللغة في الدراسات الحديثة بالإهتمام الأكبر، وما مقولة فتنجشتين بأن حدود

(1) طرائق الحداثة، ترجمة فاروق عبد القادر،عالم المعرفة 246، يونيو 1999

اللغة هي حدود العالم إلا تبيانا لمدى هذه الأهمية وكان لوليمز- في تمييز له عن اللسانيين- اهتمام خاص بدور اللغة في الثقافة والمجتمع إلا أنه اختلف جذريا عن المقولة السائدة عن تدهور اللغة والشكوى الدائبة من ذلك والقاء اللائمة على تدهور القيم والأخلاق. ما يفعله هو نظرة جذرية للتفاعل بين الكلمات والمجتمع والدور الفعال - وليس فقط المنفعل- للكلمات. في مقدمته لهذا الكتاب يذكر بداية اهتمامه بذلك ويفنّد دورّ كلمات معينة تستعمل في النقاش العام لكنها قد تحجب أكثر مما توضح وجهات النظر ويذهب إلى ما هو أبعد من ذلك متجاوزا مقولات مثل شكوى أورويل من انحدار أو انحطاط اللغة وفقدان الكلمات لمعانيها الراقية أو حتى مقالة فاتسلاف هافل التي سبق وأن قمت بترجمتها إلى العربية عن تلوث بعض الكلمات مثل «اشتراكية» بل حتى «سلام»[1].

قد يستولي على البعض ولع بالكلمات ومن ثم حرص على معرفة أصولها وقد يجدون ضالتهم في قواميس تعريف وتحديد الكلمات وتقصّى أصولها لكن ليس هذا ما يسعى إليه وليمز. هو أقرب إلى سوسيولوجيا علم المعاني الذي استحوذ على روبرت ميرتون وإلى رولان بارت في قوله عن كلمات القاموس: «كل كلمة في القاموس هي عبارة عن سفينة فضائية: تبدو أنها مغلقة على نفسها محكمة جيدا في سدتها لكنها تصبح بسهولة بالغة نقطة انطلاق، تهرب نحو كلمات أخرى وصور أخرى ورغبات أخرى»[2]. كما أن القاموس يسعى إلى تقييد الكلمات فإن السوسيولوجي المهتم يسير في الطريق المخالف نحو معرفة وتقصى تلك الجهات التي «تهرب» إليها الكلمات وكيفية الهروب. لكن نقطة الانطلاق دائما هي القاموس.

في إحدى المصادفات السارة المفاجئة ـ السريندبية serendipity ـ يكتشف روبرت ميرتون هذه الكلمة (serendipity) في قاموس أكسفورد الضخم الكامل الذي كان أول استثمار معرفي له. نفس حب الاستطلاع قاد وليمز إلى الولع والتعلق بنفس القاموس وفى المقدمة التالية نجد مدى ارتباطه به. لكن رغم عظمه وعظمته فلم يكن بالنسبة له إلا نقطة انطلاق بل حتى مجال دراسة ونقد لدوره عبر الكلمات في إعطاء صورة معينة للواقع الفكري والاجتماعي والسياسي. تأتي كل كلمة محملة بمعاني وتضمينات واشارات يقوم محررو القاموس بتوكيد بعضها على حساب البقية. يضع وليمز هذا نصب عينيه بدءا باختيار الكلمات إلى اعترافه بالمشكلات الأساسية التي تكمن في الكتابة عن أية مفردة، إلا أنه يميز بين كتابه

---

(1) «كلمات عن الكلمات»، مجلة سطور، يونيو1999

(2) «القاموس»، ترجمة حامد طاهر، الأهرام.

هذا والقاموس المعتاد الذي يصعب في العادة إدخال تعديلات على مواده في مدة قصيرة لكنه لا يتستر خلف الاكليشهات المعتادة عن قصور المؤلف والاعتذار عن أخطاء وتحريفات محتملة ولكن يضع في صلب المشروع أهمية النقاش والجدل في مقالاته وتعليقاته.

كلمتان أساسيتان بالنسبة لوليمز: النقاش العام. أحد أهم دوافعه لتأليف هذا الكتاب هو الإسهام في تحليل كلمات أساسية يستخدمها الناس في نقاشهم العام وفى هذا المجهود التعليمى الذي يسعى إلى زيادة رأس المال الثقافى- مثله في ذلك مثل بورديو- ليكسر حاجز الخاصة ويصل إلى الجمهور الأوسع. يهدف هذا الاشراك الواعي في النقاش إلى تغيير في المجتمع ومكوناته وتطلعاته. لكل من نشأة وليمز وبيرديو في الريف وانتقالهما جغرافيا ومهنيا إلى مراكز سياسية وفكرية دور في هذا الحماس الرسولي الذي ينطبع به عملهما.

الثقافة: هذه الكلمة التي انطلق منها وليمز هي إحدى الكلمات التي لاتزال محور النقاش الفكري، وما اختيار تيرى إيجلتون لها كإحدى الأفكار الثمانية الكبرى المعاصرة لمجلةNew Statesman[1] إلا تأكيدا على أن الكتاب - رغم مرور سنوات على تأليفه- لايزال يناقش قضايا جوهرية. كذلك بما أن غرض الكتاب الأساسى ليس تعريف الكلمات ولا البحث في أصولها فإن دوره لايزال حيويا يؤكده رجوع كثير من المؤلفين إليه ويبينه الحضور المكثف لمفردات منه على الإنترنت (بحث عن طريق جوجل تحت كلمتى ثقافة ووليمز، مثلا، ينتج ما يفوق ثلاثين ألف مادة بعضها متكرر لكن عددا وافرا منها مقررات جامعية). كذلك يؤدي البحث عن اسم الكتاب إلى مجلة هامة مرتبطة بجمعية ريموند وليمز اسمها Key Words.

قد يجد البعض ممن تعودوا على «ثبات» كلمات معينة ومركزيتها وبقائها الأبدي كثيرا من الغرابة في إبعاد كلمة هامة REALISM واقعية من دليل واسع الانتشار مثل « Critical Terms for Literary Studies مصطلحات نقدية للدراسات الأدبية»[2] لتأثرها بشكوك ما بعد الحداثة في أية مزاعم لتمثيل الواقع. مقابل هذا نجد روبرت سكولز يتبنى مصطلح «SEMIOTICS سيميوطيقيا»- مستندا على أسس أوربية مشابهة- لبرنامجه الأكاديمى الحديث في جامعة براون الأمريكية لأن الكلمة لم تحمل أي معنى بعد. يتذكر سكولز ذلك: «كانت دالا شبه غفل»[3].

---

(1) عدد 26 ـ 7 ـ 2004

(2) جامعة شيكاغو، 1995

(3) بوسطن جلوب، 16، 5، 2004

ينصب الاهتمام الكبير لدينا على المصطلحات المتخصصة في المجالات العلمية والمعرفية وظهرت كتب كثيرة في العربية اعتمدت إما الترجمة والتعريب أو التأليف، طغت فيها المصطلحات الأدبية أو تلك التي ارتبطت بمدارس فكرية حديثة. قد تكون هناك اعتراضات أو تحفظات على انتزاع مصطلحات من سياقها وإقحامها في ثقافة تنقصها مقومات المعرفة الأساسية، مما يضفي على الكتابة والنقاش صفة السحر والتمويه وليس مجرد الحجب والتوكيد التي خشيها وليمز بالنسبة لمجتمعه، وفى كثير من الأحوال تفقد الكلمات المنتزعة بهذه الطريقة النشاط الفكري الذي يحورها ويعدلها وربما يسقطها لكن في سياقها الجديد قد تتحجر وربما «تتقدس». ما يفعله في هذا الكتاب هو اختيار كلمات أساسية يستعملها الناس في نقاشهم العام: كلمات ليست متخصصة ولكنها عميقة ومتشعبة، كلمات في مجال الاستعمال العام لكنها نفسها فعالة.

قد تكون الكلمات العامة أهم عامل في النقاش العام في الوضع الحاضر. في الوقت الذي يتحدث فيه وليمز مجازيا بعد رجوعه من الحرب بأن "هذه ليست لغتنا» فإننا غرباء تماما ليس فقط بسبب اللغة والكلمات الأجنبية وليس لأنه جرى عليها تحويل وتبديل في نطاقها الأصلي وإنما لأنها تأتي مثقلة بتراكمات متنوعة. قد يكون من الضروري إيلاء كلمات وعبارات فكرية أو أدبية مثل تلك التي تمتليء بها الأدلة الأدبية أهمية مستحقة لكن يبقى أثرها محدودا وقد تكون مخلة أو نخبوية كما هي في لغاتها الأصلية وتأتي في الغالب على حساب كلمات تبرز في كل الأحاديث العامة لكن دون سند مفهومي يجعل استعمالها فعالا في النقاش العام. أضرب مثالا من مقالة في صحيفة في متناول الجميع يذكر فيها محمد عابد الجابري كلمة تشغل الرأي العام: الإصلاح.

فى مقالة ضمن مقالات هي أقرب إلى البحوث منها إلى كتابات صحفية بعنوان «مفهوم الإصلاح»[1] يراجع الجابري كلمة الإصلاح في الثقافة العربية ويقارنها بمقابلتها الأوروبية ومرجعيتها اليونانية ويتساءل عن عدم وجود تعريف إيجابي للكلمة في اللغة العربية. وبعد تفكيك الكلمة اللاتينية الأصل إلى «إعادة تشكيل» يرجح أن الكلمة العربية «إصلاح» يقابلها في الإنجليزية ليس reform ولكن repair إصلاح العطل الذي يحدث لآلة، سيارة في مثاله. لا تسند هذا التحليل العودة إلى المراجع الإنجليزية وربما تبين عدم دقته. مع ذلك كم مفيد مطالعة المادة المختصرة في هذا الكتاب عن: « REFORM تغيير

(1) الاتحاد الإماراتية، 26، 7، 2004

شيء إلى الأفضل، وهو مرتبط ارتباطا وثيقا بفكرة استرجاع حالة سابقة أقل فسادا»، وهو ما يؤكد إلى حد ما قول الجابري عن معنى الكلمة السلبي كمقابل لفساد، لكن هذا المعنى الإنجليزى كان معنى مبكرا. وافق كلام الجابري رأى ولي عهد دبي الذي قال في ندوة في عمّان بشأن المطالبة (الخارجية؟) بالإصلاح: «هل لدينا شيء مكسور حتى يصلح؟». هذه كلمة واحدة وهناك كلمات أخرى يتم تداولها على مستويات متفاوتة من الخلل والتوتر: ديمقراطية، مجتمع مدني، حداثة، علمانية، حضارة، تراث وبالطبع ثقافة والكلمات المتفرعة منها مثل تنوع ثقافي ودراسات ثقافية.

تطغى كلمات معينة في «النقاش العام» في فترات معينة، وكان ذلك يقتصر في الماضى على إما مجال معين أو مجتمع معين لكن في ظل تداخل المعارف والعولمة انتشر كثير من المفردات انتشارا أسهم في إثراء - وتشويش- النقاشات المحلية السائدة. بعض هذه الكلمات العامة يفقد تأثيره وبريقه مثل «paradigm»، نموذج أو إمام كما يترجمها جاك بيرك، التي تبنّاها توماس كوهن، أو تخضع لشكوك كما رأينا بالنسبة لـ REALISM وقد تحدث ردة فعل ضد بعض الكلمات التي تعرف ب «الميتات metas، ما وراء» أو «البوستات posts، ما بعد» أو «رطانة التنظير theorese». هكذا نجد أنفسنا مضطرين في أحايين كثيرة إلى وضع بعض هذه الكلمات بين مزدوجين مثل «ثقافة» الكلمة الأولى التي تتبع وليمز تقلباتها وكذلك كلمة «حداثة» التي أولاها اهتماما كبيرا لكنها كانت بالنسبة لفريدريك جيمسون كلمته الأولى: «باختصار لنقل إن هذا سيكون تحليلا شكلانيا لاستعمالات الكلمة «modernity» ينفى كل افتراض بوجود معنى صحيح للكلمة يمكن اكتشافه وتصوره وتبنيه». حسب كريستوفر بندرجراست، «يذكرنا هذا بمحاولة ريموند وليمز- في كتابه Keywords الذي يضم مادة «modern» حديث- دراسة التاريخ الثقافي والاجتماعي عن طريق علم المعاني التاريخي»[1]. كانت كل من هاتين الكلمتين جزءا من ثنائي: حداثة/ تقليد أو تراث وثقافة/ مجتمع. الثنائي الأول عام لكن الثاني طوره وليمز بشكل موسع. كثير من الثنائيات تكون متقابلة أو متعارضة أو متداخلة لكنها تشكل محاور أساسية للنقاش العام المستمر: ثقافة/ طبيعة، تقدم/ محافظة أو رجعية، ذاتي/ موضوعي. قد تكون دراسة الثنائيات معا مفيدة كما هو في حالة «action/reaction فعل/ رد فعل» واسعة

(1) Christopher Pendergrast, "Codeword Modernity," New Left Review 24, Nov/Dec 2003

الانتشار. في مراجعة لكتاب جين ستاروبنسكى «حياة ومغامرات زوج: فعل/ رد فعل» تشير إميلي جروشولز إلى أن هاتين الكلمتين اللتين تستعملان اليوم وكأنهما متلازمتان لم تكونا أبدا كذلك، وبأسلوب مشابه لأسلوب وليمز يتتبع ستاروبنسكي الكلمتين من العصور القديمة وعبر عدة علوم: من أصليهما المختلفين نجد عدم مساواة الاثنين. في الكيمياء نجد «reaction تفاعل» تعني عملية كيميائية لها بداية ونهاية؛ وفي الفيزياء النيوتونية «المساواة بين الفعل وردة الفعل»؛ وفي علم النفس الفرويدي كانت «reaction» أساسية. أما بلزاك فاستعمل الفعل to» «react والإسم «reaction» وكلمات أخرى ليظهر «مفعول الحداثة» في الرواية؛ ثم استعملت «reaction» في الخطاب السياسي بمعنى «معارضة الإيمان بحرية الفرد وكرامته» و«معارضة التقدمية progressivism»، لكنه يعود في النهاية، بطريقة تبين مسار الكلمة الملتوي، إلى الجزم بأن عمله كمؤرخ «reactionary» رجعي بمعنى العودة إلى الماضى[1].

يتوسع ريموند وليمز أكثر من «الثنائيات» ويفضل دراسة الكلمات ضمن «مجموعات» أو كما يسميها «عناقيد» وذلك لترابطها الشديد، ويؤثر ترتيب مواد الكتاب بهذه الطريقة، لولا المشاكل التي تنجم عن ذلك. بالنسبة له كانت «ثقافة ومجتمع» و«ريف وحاضرة» عنوانين لإثنين من أهم كتبه، لكنه قدَّر أهمية الصلة بين كلمات «مترابطة جوهريا» مثل أدب وفن وواقعية. مجموعة أخرى قد لاتكون بنفس الوضوح لكن بينها ترابط كبير: عائلة وجماعة ومجتمع وطبقة وديمقراطية. في هذه التجمعات تعقيد كبير إلا أن بعض مفردات الكتاب التي قد تبدو معروفة هي من أكثر الكلمات تعقيدا. يشير وليمز في مقدمته إلى صعوبة «COMMUNITY جماعة»، لكن يمكن إضافة « FAMILY عائلة» أو «STRUCTURE بنية» إلى قائمة الكلمات الصعبة والتي تشكل الأساس لكلمات أخرى.

تعرض وليمز لنقد من كل من اليمين (وصفته مجلة Foreign Affairs ـ خريف 1984 - بأنه أحد أهم مفكري بريطانيا الراديكاليين إثارة، وهاجمته مجلة New Criterion ـ في عدد صيف 2003 في موقعهاعلى الإنترنت وقبل ذلك في عدد فبراير، 1990 - هجوما كاسحا ومتجنيا) ومن اليسار حيث انتقد نقدا شديدا لرفضه الربط الماركسى بين «القاعدة» و«البنية الفوقية»، وكذلك تعرض مفهومه الأساسى «المادية الثقافية» لبعض النقد. أما بالنسبة لكلمته الأولى «الثقافة» فقد اتهم بالعودة إلى مفهوم الكلمة النخبوي كما هو لدى ماثيو آرنولد وت إس إليوت.

---

(1) www.hudsonreview.comlGrosholzWio4.html

يمكن للقاريء ملاحظة تفاوت مستوى المواد، فالقليل لايرقى إلى مستوى الأغلبية. كما يجب التنبه إلى أن بعض الكلمات أثرت وتأثرت بدون شك منذ صدور الكتاب، آخذين في الاعتبار انخراط ثقافات كثيرة في هذا النقاش وهذه الكلمات، وليس فقط في بريطانيا أو الغرب. كلمات أخرى كثيرة استجدّت ولابد أن تدخل في هذا النقاش وتكوّن هي بدورها ثنائياتها وعناقيدها.

كتب وليمز كتابه للمتعلم غير المتخصص لكن من يسعى ليعرف أكثر مما تحويه القواميس المعرِّفة أو المسارد. أما بالنسبة للقارىء العربى - الذي تزيد فائدته لو كان ملما بمبادىء اللغة الإنجليزية - فإن الكتاب يوفر له بعض الأسس للإسهام في النقاش العام الذي عادة ما يفتقد إلى معرفة ولو بسيطة بالمفردات أو - وهذا هو الأسوأ والأكثر شيوعا- يعطي بعض الكلمات رسوخا وثباتا ومن ثم تقديسا. في لحظة سيرنديبية (؟) وقعت على قصاصة قديمة إلى حد ما من جريدة الأهرام فيها تعريف لكلمة Mass(es) (هكذا) بدأ بالإشارة إلى أن هذا «المصطلح نشأ في اللاهوت المسيحى (والصلاة المسيحية) حيث يعني القداس والاحتفال بالقربان المقدس مع احتشاد الشعب في كتلة واحدة!» بالعودة إلى أصل الكلمة تتضح عدم الدقة الإتيمولوجية وتزاح عن الكلمة «القداسة». ويورد وليمز في هذا السياق ملاحظة ثاقبة ودالة: «في الحقيقة لاتوجد هناك جماهير masses؛ هناك فقط طرق للنظر إلى الناس على أنهم جماهير». يكتمل طموح الكتاب وترجمته لو كان للمفردات هنا دور أساسي في النقاش العام، حول «الإصلاح» مثلا، من قبل «الجماهير» عن طريق ادراك للمفاهيم الأساسية ووعي بتقلب الكلمات مما يمكننا من القول بأننا «نتكلم نفس اللغة».

بمناسبة صدور الطبعة الثانية أجدها فرصة، لم تتحقق في الأولى، لذكر شخصين كان لهما أعظم الأثر على هذا الكتاب: الدكتور أحمد مستجير عالم الوراثة وعضو مجمع اللغة العربية في القاهرة الذي كان له الفضل في النصح في جوانب مهمة من الترجمة، بالإضافة إلى سعيه الدؤوب في متابعة نشر الطبعة الأولى من هذا الكتاب؛ الرحيل المفاجيء والفاجع لهذا العالم الجليل والشخصية العظيمة في تواضعه ولطفه هو خسارة كبرى على المستويات العلمية والثقافية والشخصية. أما الدكتور طلال أسد، عالم الأنثروبولوجيا البارز والمنظّر في الأديان المعروف، فيتجلى دوره في تحمسه لهذا الكتاب بناء على معرفة معمقة، وهو ما يظهر في مقدمته الشاملة حيث يضع الكتاب في إطار معرفى عالمي: مقارنته بما يتوفر في الألمانية وأمله في أن تتوفر دراسة مماثلة في الغة العربية ولها.

إهـــداء

إلى كريستي، أنيكا،
ديفد وروزالند

ريموند وليمز

ولد ريموند وليمز في 1921 في قرية باندى الويلزية الواقعة على الحدود مع إنجلترا. درس في ثانوية أبرجافيني وكلية ترينيتي في جامعة كمبردج وشارك في الحرب العالمية الثانية كقائد مضادة مدرعات في كتيبة الحرس المدرّعة . بعد الحرب عمل كمدرس للكبار في برنامج جامعة أكسفورد للدراسات غير الجامعية . في 1961 انتخب كزميل في كلية جيسس في جامعة كمبردج.

تشمل كتبه المنشورة:

Culture and Society,
The Long Revolution,
The Country and the City;
Drama in Performance,
Drama from Ibsen to Brecht,
Modern Tragedy;
Communications;
Border Country,
Second Generation,
The Fight for Manod,
The Volunteers;
Marxism and Literature,
The English Novel from Dickens to Lawrence;
Politics and Letters. (مقابلات)

ونشرت له «فونتانا»

Orwell (l961, a Modern Master) ,
Television: Technology and Cultural Form (l974),
Culture (1981),
ومقال عن الثقافة في : Marx: The First Hundred Years (1983)

مقدمة الطبعة الثانية

الاحتفاء بهذا الكتاب في طبعته الأولى كان أقصى من كل توقعات المؤلف. شجعني هذا على مراجعته حسب الطرق الموضحة في المقدمة الأصلية لكن مع استمرار الشعور بأن العمل بالضرورة غير مكتمل وقاصر. في هذه الطبعة الجديدة تمكنت من إدراج واحد عشرين كلمة إضافية :

anarchism, anthropology, development, dialect, ecology, ethnic, experience, expert, exploitation, folk, generation, genius, jargon, liberation, ordinary, racial, regional, sex, technology, underprivileged, western .

بعضها أعدت إدراجها من قائمي الأصلية؛ كلمات أخرى أصبحت أهم في الفترة الواقعة بين القائمة الأصلية والوقت الراهن. كذلك قمت بمراجعات في النص الأصلي شملت تصحيحات وإضافات.

أود تسجيل جزيل شكري لأشخاص كثيرين كتبوا إلي أو تحدثوا إلي عن الكتاب. بعض المواد الجديدة هي من اقتراحهم وكذلك كثير من الإضافات والتصحيحات في النص الأصلي. لا يمكنني تحميل أي منهم مسؤولية عن أفكاري أو أخطائي لكن أنا مدين بشكل خاص لـ Aidan Foster-Carter لمجموعة الملاحظات خاصة عن development؛ ولـ Micae Mckeon لنقاط كثيرة لكن على الخصوص revolution؛ لـ Peter Burke لمجموعة ملاحظات فائقة الفائدة؛ لـ Carl Gersuny لمجموعة ملاحظات خاصة عن interest و work. مدين بشكل خاص لـ Daniel Bell على generation؛ لـ Gerald Fowler على scientist؛ لـ Alan Hall على history ؛ لـ P.B. Home على native؛ لـ R.D. Hull على industrial؛ لـ G. Millington وH.S. Pickering وN. Pitterger على education؛ لـ Darko Suvin على communist وsocial؛ لـ René Wellek على literature. كذلك أنا مدين لعدد من الأشخاص لاقتراحاتهم واشاراتهم: Perry Anderson, Jonathan Benthall, Andrew Daw, Simon Duncan, Howard Erskine-hill, Fred Gray, Christopher Hill, Denis L. Johnston, A. D. King, Michael Lane, Colin

Maccabe, Graham Martin, Ian mordant, Benjamin Nelson, Malcolm Pittock, Vivien Pixner, Vito Signorile, Philip Tait, Gay Weber, Stephen White, David Wise, Dave Wootton, Ivor Wymer , Stephen Yeo.

ريموند وليمز: كمبردج، مايو 1983

مقدمـــة

في عام 1945 بعد انتهاء الحرب مع ألمانيا واليابان سُرحت من الجيش وعدت إلى كمبردج. كان الفصل الدراسي في الجامعة قد بدأ وتكونت علاقات ومجموعات كثيرة. في كل الأحوال كان هناك شيء من الغرابة في الانتقال من «فوج مدفعية» على قناة «كيل» إلى كلية من كليات كمبردج. لم يكن قد انقضى على غيابي سوى أربع سنوات ونصف لكن بسبب التحركات خلال الحرب فقدت الاتصال بكل أصدقاء الجامعة . مرت عليّ فترة غريبة قبل أن التقي بشخص كنت قد عملت معه في السنة الأولي من الحرب عندما كانت تحولات العقد الرابع من القرن العشرين على الرغم من تأثرها بالضغوط في طور التشكيل. تحدثنا بشغف لكن لم يكن الحديث عن الماضي . كنا مثقلين إلى حد كبير بهذا العالم الجديد والغريب حولنا . عندها قلنا في آن واحد: «في الواقع، إنهم لا يتكلمون نفس اللغة».

إنها جملة شائعة وتستخدم في الغالب بين الأجيال المتعاقبة بل حتى بين الآباء والأطفال . استخدمتها أنا نفسي من قبل، بالتحديد قبل ست سنوات عندما حضرت إلى كمبردج من أسرة تنتمى إلى الطبقة العاملة في ويلز. القول بأننا لا نستخدم اللغة نفسها في المجالات المختلفة قول غير دقيق، فيمكن من خلال لغة مشتركة لبلد معين أن نتبين الفروق الاجتماعية والعمرية بين أفراده. فالكلمات هي هي نستخدمها في التعبير عن أنشطة وأشياء مختلفة مع تنوع واضح في النبرة واللكنة والوقع. بعض الكلمات المتقلبة، مثل lunch غذاء وsupper عشاء و dinner وجبة رئيسية، يمكن التركيز عليها لكن الفروق ليست على قدر كبير من الأهمية. عندما نصل إلى قول «إننا لا نتحدث نفس اللغة» فإننا نعني شيئاً أعم : لدينا قيم مباشرة مختلفة أو طرق مختلفة للتقويم أو أننا على وعي، في الغالب بطريقة غير ملموسة، بتشكيلات وتصنيفات مختلفة للنشاط والإهتمام . في مثل هذه الحالة تتحدث كل مجموعة لغتها المحلية لكن استعمالاتها تختلف كثيرا خاصة إذا كان للأمر علاقة بأفكار هامة أو أحاسيس جياشة. ليس لدينا في الحقيقة معيار لغوي يبيح لنا وصف مجموعة لغوية بأنها على «خطأ» أو «صواب»، لكن قد تحاول مجموعة ذات سلطة لغوية مؤقتة أن تهيمن وتفرض طريقها في استخدام اللغة بوصفها الطريقة الصحيحة «correct». ما يحدث فعلاً خلال هذه المواجهات الحاسمة التي قد تدرك فقط كغرابة واضطراب هو عملية أساسية في تطور اللغة عندما يتم في كلمات ونبرات ونغمات معينة إقتراح معاني أو اعتمادها، اختيارها أو توكيدها

والجزم بها أو تعديلها وتغييرها . من المؤكد أن هذه العملية تتطلب في بعض الحالات مرور زمن طويل، يمتد إلى قرون أحيانا، حتى تستقر ويكون بإمكاننا، عن طريق استقراء النتائج، إعطاؤها قدرها الذي تستحق. في حالات أخري قد تكون العملية سريعة، خاصة في بعض المجالات الرئيسية. في جامعة كبري ونشطة وفي فترة تغير مهمة مثلما هي الحرب فإن العملية قد تبدو سريعة وواعية بشكل غير معتاد .

لكن الفترة، كما قلنا معاً، في مجملها لم تتجاوز أربع أو خمس سنين. هل كان التغيير فعلاً بهذا القدر؟ بعد بحث عن أمثلة وجدنا تحولاً في بعض الاتجاهات العامة في السياسة والدين. لكني وجدت نفسي مشغولاً بكلمة واحدة culture ثقافة التي بدا أني كنت أسمعها أكثر بكثير من السابق: ليس فقط، كما هو واضح، بالمقارنة مع حديث فوج المدفعية أو كلام عائلتي، ولكن بالمقارنة المباشرة داخل الجامعة عبر هذه السنوات القليلة. سمعت الكلمة في الماضي بمعنيين: أحدهما على أطراف المدينة، في المقاهي teashops وأماكن مشابهة حيث بدت أنها الكلمة المفضلة لنوع من التفوق الاجتماعي ليس في الأفكار أو المعرفة، وليس فقط في المال أو الموقع ولكن في مجال غامض يتعلق بالسلوك؛ لكن أيضاً، بالمعنى الآخر، كانت «ثقافة» هي الكلمة المحورية في حديث الأصدقاء، يرددونها في معرض كلامهم عن كتابة الشعر والرواية وصناعة الأفلام والرسوم والعمل في المسرح. ما كنت أسمعه الآن هو معنيان مختلفان لم أتمكن فعلاً أن أستبينهما: أولاً، في دراسة الأدب، استعمال يوضح، بطريقة فعالة وإن تكن غير صريحة، نوعاً من تشكيل القيم (ولقد كان للكلمة literature أدب ذاتها نفس التوكيد)؛ ثانياً، في النقاش الأكثر عمومية وما بدا لي أن له تضمينات مختلفة هناك استعمال جعل من الكلمة معادلاً لـ society مجتمع: «أسلوب حياة» معين - « American culture ثقافة أمريكية»، «Japanese culture ثقافة يابانية».

يمكنني الآن شرح ما أعتقد أنه قد حدث. من الواضح أن اتجاهين هامين أخذا يتشكلان تشكلا فعليا في إنجلترا: ففي مجال الدراسات الأدبية تحققت سيادة حاسمة لفكرة في النقد ظلت - من آرنولد إلى ليفيز - تعتمد على «الثقافة culture» باعتبارها أحد مصطلحاتها المركزية؛ أما في النقاش حول المجتمع فقد حدث التوسع إلى الحديث العام لمعني أنثروبولوجي كان واضحاً كتعبير متخصص، لكن تم الآن تبنيه، تحت تأثير أمريكي متزايد وكذلك تحت تأثير مواز من قبل مفكرين مثل مانهايم. ضعف بوضوح المعنيان السابقان: المعني المتداول في المقاهى الذي، رغم استمرار وجوده، أصبح مقصيا أكثر وفي طريقه إلى أن يصبح هزلياً؛ ومعنى النشاط في الفنون الذي بدا، رغم احتفاظه بمكانه على مستوى الوطن، أكثر فأكثر عزلة عن طريق توكيد النقد وعن طريق الإشارة الأهم والمبددة إلى أسلوب حياة تام. لكني لم أكن أدرك شيئاً من هذا في حينه. كانت فقط كلمة صعبة، كلمة جعلتني أفكر فيها كمثال للتغيير الذي كنا نحاول، بطرق مختلفة، فهمه.

انقضت سنتي في كمبردج. ذهبت إلى العمل في تعليم الكبار. خلال سنتين نشر ت. إس.

إليوت Notes Towards the Definition of Culture (1948) - وهذا كتاب فهمته لكن لم أستطع تقبله - وعادت إليّ بقوة تلك الغرابة المحيرة التي عشتها في الأسابيع الأولى في كمبردج. بدأت أسبر الكلمة في فصول تعليم الكبار . الكلمات التي ربطتها بها، بسبب المشاكل التي أثارتها استعمالاتها في ذهني، كانت class طبقة و art فن، ثم industryجهد/ صناعة و democracy ديمقراطية . شعرت بأن هذه الكلمات الخمس تشكل معا بنية ما، كلما أمعنت في دراستها صارت العلاقات بينها أكثر تعقيداً. بدأت أكثف قراءاتي في محاولة لمعرفة أوضح في مغازيها. ثم في ذات يوم وكنت في الجزء تحت الأرضي من المكتبة العامة في سيفورد، حيث انتقلنا للسكن، بحثت عن كلمة culture بطريقة تكاد تكون عرضية في أحد المجلدات الثلاثة عشر لما نسميه الآن في العادة The Oxford New English Dictionary on Historical Principles: OED قاموس أكسفورد . كانت بمثابة صدمة معرفية. يبدو أن التحولات في المعنى التي كنت أحاول فهمها قد بدأت في اللغة الإنجليزية في أوائل القرن التاسع عشر. اتخذت الصلات التي لمستها في اللغة بين class طبقة و art فن، وبين industry جهد/ صناعة و democracy ديمقراطية ليس فقط شكلاً فكرياً ولكن أيضاً تاريخياً. ويمكنني أن أرى الآن تلك التحولات بطرق أكثر تداخلا وتعقيدا؛ فكلمة «ثقافة culture» نفسها لها الآن تاريخ - رغم اتصاله - مختلف. كانت هذه هي اللحظة التي اكتسب فيها بحث بدأ بمحاولة فهم عدة مشاكل معاصرة ملحة - مشاكل تتعلق فعلياً بفهم عالمي المباشر - شكلاً معيناً في محاولة فهم تراث . كان هذا هو العمل الذي اكتمل في 1956 وصار كتابا لي بعنوان *Culture and Society* الثقافة والمجتمع.

لم يكن من السهل عندئذ، وليس سهلا الآن، وصف هذا العمل وتصنيفه ضمن موضوع أكاديمي معين؛ صنف الكتاب تحت مسميات متنوّعة تنوع تاريخ ثقافي، وعلم دلالات تاريخي، وتاريخ أفكار، ونقد اجتماعي وتاريخ أدبي، وعلم اجتماع. قد يكون هذا في بعض الأحيان محرجا أو حتى صعبا لكن المواضيع الأكاديمية ليست تصنيفات أزلية، والحقيقة أني، أملاً في طرح أسئلة عامة معينة بطرق محددة، وجدت أن الصلات التي أنشأتها، وأن مجال الاهتمام الذي حاولت تحديده كان قد خبرها وشارك فيها كثير من الناس الذين توجهت إليهم تلك الدراسة. ثمة معلم رئيسي في هذا المجال من الاهتمام كان هو: المفردات التي لم تكن المفردات المتخصصة لفرع معرفة متخصص وإن تداخلت كثيرا مع عدد منها، وإنما هي مفردات عامة تمتد من كلمات صريحة، صعبة ومقنعة متوفرة في الاستعمال اليومي، إلى كلمات أصبحت بعد نشوئها في سياقات متخصصة شائعة لوصف مجالات أوسع من الفكر والتجربة. من المهم ملاحظة أن هذه المفردات هي التي نتقاسمها مع الآخرين، في الغالب بطريقة منقوصة، عندما نرغب في مناقشة كثير من القضايا المركزية في حياتنا العامة. خير مثال هو الكلمة الصعبة الأولى: culture ثقافة. للكلمة معاني متخصصة في حقول دراسة معينة وقد يبدو أن الأمر يستحق فرزها. لكن ماجذب انتباهي في البداية كانت أهمية استعمالها العام والمتقلب: ليس في فروع المعرفة المختلفة ولكن في النقاش

العام. إن مجرد كونها مهمة في مجالين يعتبران منفصلين - الفن والمجتمع - أثار أسئلة جديدة وأوحي بأنواع جديدة من العلاقة. في متابعة هذا الأمر وجدت أن هذا ينطبق على مجموعة من الكلمات الهامة - بداية من aesthetic (a) جمالي إلى work (w) شغل - فبدأت في تجميعها ومحاولة فهمها. ويمكن القول أن الأهمية هنا تكمن في الإختيار. أدرك كم تبدو للآخرين إعتباطية بعض الكلمات التي ضُمّت وتلك المبعدة . لكن من حوالي مائتي كلمة اخترتها، لأني شاهدت أو سمعت استعمالها في نقاش عام بطرق بدت لي لافتة أو صعبة، انتقيت خمسين، وكتبت عنها ملاحظات ومقالات قصيرة بقصد إلحاقها بكتابي Culture and Society الذي تناول في نصه الرئيسي عدداً محدداً من الكتاب والمفكرين. لكنى عندما أنجزت الكتاب أشار إلى ناشري بضرورة اختصاره: إحدى المواد التي يمكن حذفها كانت هذا «الملحق». لم يكن لي مجال للإختيار. وافقت على مضض. حررت ملاحظة فيها وعد بأن تكون هذه المادة بحثاً مستقلا. لكن ملف الملحق ظل على الرف. لمدة تفوق عشرين عاماً كنت أضيف إليه: أجمع أمثلة أكثر، اكتشف نقاط تحليل جديدة وأضم كلمات أخرى. بدأت أشعر أن هذه المادة قد تكون كتاباً مستقلاً. فحصت كامل الملف مرة أخرى وأعدت كتابة كل التعليقات والمقالات القصيرة واستثنيت بعض الكلمات وأضفت أخرى. المؤلَّف الحالي هو النتيجة.

ركزت على هذه العملية لتكوين كتاب Keywords الكلمات المفاتيح لأن ذلك كما يبدو لي يوضح هدفه وحجمه. ليس هو قاموس أو مسرد لموضوع أكاديمي معين. ولا هو بمجموعة هوامش لتعريفات أو تواريخ قاموسية لعدد من الكلمات. إنه بالأحرى سجل لبحث في المفردات: مجموعة كلمات ومعاني مشتركة تستعمل في نقاشاتنا العامة جداً في الإنجليزية عن الممارسات والمؤسسات التي نصنفها على أنها culture ثقافة و society مجتمع. كل كلمة مختارة فرضت نفسها على انتباهى تقريباً، في وقت من الأوقات خلال نقاش ما، إذ بدا لي أن مشاكل معانيها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشاكل التي استعملت لمناقشتها. غالباً ما نهضت من كتابة تعليق معين لأسمع الكلمة نفسها مرة أخرى بنفس الشعور بالأهمية والصعوبة: غالباً بالطبع في نقاش وجدل يتجهان إلى غاية مختلفة. بدأت أرى هذه التجربة كمشكلة مفردات وفقاً لمعنيين: معاني الكلمات المعروفة المتوفرة والمتطورة التي يجب تسجيلها؛ والعلاقات الواضحة، أو الضمنية في أحيان كثيرة، التي يقيمها الناس والتي يبدو لي مرة تلو الأخرى أنها صياغات خاصة للمعني - طرق ليست فقط للنقاش، وإنما على مستوى آخر لرؤية الكثير من تجاربنا الأساسية. ما توجب عليَ عمله عندئذ لم يكن مجرد تجميع أمثلة والبحث عن سجل استعمال معين أو مراجعته، لكن قدر استطاعتي تحليل بعض القضايا والمشاكل التي كانت تقبع هناك داخل المفردات، سواء ككلمات مستقلة أو في مجموعات معتادة. أطلقت على هذه اسم الكلمات المفاتيح Keywords بمعنيين مترابطين: هي كلمات هامة ملزمة في نشاطات معينة وشرحها؛ وهي كلمات دلالية هامة في صيغ معينة من الفكر. ثم استعمالات معينة ربطت معاً طرقاً معينة للنظر إلى الثقافة والمجتمع، ليس أقلها في هاتين الكلمتين

بالغتي العمومية. ثمة استعمالات أخرى بدا لي أنها تفتح قضايا ومشاكل، في نفس المجال العام، نحن في أشد الحاجة إلى أن نكون على وعي بها. إن التعليقات على قائمة كلمات، وتحليل تشكيلات معينة: هذان هما عنصرا المفردات الفعالة - طريقة تسجيل وتحري وعرض مشاكل المعني في المجال الذي تشكلت فيه معاني كلمتى ثقافة culture ومجتمع society.

بالطبع لا يمكن فهم كل القضايا فقط بتحليل الكلمات. على العكس، معظم القضايا الاجتماعية والفكرية، بما فيها كل من التطورات المتدرجة والخلافات والنزاعات الحاسمة، استمرت ضمن التحليل اللغوي أو أبعد منه. مع ذلك وجدت أن الكثير من هذه القضايا لا يمكن فعلياً التفكير فيها وحلها، بل إن بعضها فيما اعتقد لا يمكن تبلوره إلا إذا أدركنا أن الكلمات هي من صلب المشاكل. تجد وجهة النظر هذه قبولاً على شكل واسع. عندما أثرت أسئلتي الأولى عن الاستعمالات المختلفة لكلمة ثقافة culture أُعطيت الانطباع، بطرق لطيفة أو غير لطيفة، بأنها قد نشأت أساسا عن تعليم قاصر، ولما كان هذا صحيحاً (والحق أنه صحيح وينطبق على الجميع) فلقد ألقي ظلالاً على النقطة المثارة. إن الثقة الفائقة لأي استعمال معين لكلمة، ضمن مجموعة أو في فترة محددة، هي أمر يصعب الشك فيه. أتذكر خطاباً من القرن الثامن عشر:

> ما هو في رأيك معنى الكلمة sentimental عاطفي، التي هي موضة عند الطبقة الراقية...؟ شملت هذه الكلمة كل ما هو مقبول ورشيق ... أدهش كلما أسمع أن فلاناً رجل sentimental وجداني؛ كنا مجموعة sentimental وجدانية؛ كنت أقوم بنزهة sentimental رقيقة.

حسناً، إنتهت تلك الموضة. تغير معنى sentimental وتدهور. لم يعد السائل عن معنى هذه الكلمة يواجه بنظرة التحديق المألوفة المهذبة والباردة. يمكننا جميعا، عندما يكتمل السجل، أن نكون على بينة وفي ارتياح. أما بالنسبة للكلمات literature أدب وaesthetic جمالي و representative ممثل/مندوب و unconscious لاواع و liberal ليبرالي، وغيرها كثير، التي تبدو لي مثيرة للمشاكل ستبدو، في الدوائر المناسبة، واضحة تماماً واستعمالها الصحيح أمر مرتبط فقط بالتعليم. أو بالنسبة لـ class طبقة و democracy ديمقراطية و equality مساواة و evolution نشوء/تطور و materialism مادية: فهذه كلمات يجب أن نتجادل حولها لكننا نستطيع أن نربط استعمالات معينة بطوائف sects ثم نصف كل الفرق سوى فرقتنا بأنها طائفية sectarian. يمكن القول إن اللغة تعتمد على هذا النوع من الثقة، لكن نعرف أنه في أية لغة رئيسية، خاصة في فترات تغيير، يمكن وبسرعة أن تغدو هذه الثقة الضرورية هشة، وكذا الحرص على الوضوح إذا لم نواجه الأسئلة الملازمة.

لا تقتصر الأسئلة على المعني وحده؛ هي بالضرورة وفي معظم الحالات تدور حول المعاني. إن أول ما يفعله بعض الناس عند رؤية كلمة هو أن يقوموا بتعريفها. تصدر القواميس مدعية سلطة

مرجعية تتمثل في منحها ما يسمى «المعنى الدقيق» للكلمة، ولا يقلل من الثقة بها كونها محدودة بالزمان والمكان. مستخدما المراسلات في الصحف ونقاشات أخرى عامة، بدأت مرة تجميع تنويعات للعبارتين: «أرى من وبستري my Webster» أو «أجد من قاموس أكسفورد الخاص بي my Oxford». في العادة كان موضع النزاع عبارة صعبة في النقاش. لكن النبرة الفعلية لهاتين العبارتين، مع التأكيد اللافت المتعلق بالملكية (وبستري «my Webster») كان لاستحواذ معنى يلائم النقاش ويستثني تلك المعاني المزعجة التي كان شخص جاهل من الغباء بحيث يستعملها. طبيعي لو كنا نرغب معرفة معنى banxring أو boabab أو borilla، أو بنفس المقدار barbell أو basilica أو batik، أو بشكل أكثر وضوحا عن الكلمات barber أو barley أو barn فإن هذا النوع من التعريف مجزي. لكن هذه الطريقة بالنسبة لكلمات من نوع آخر، خاصة تلك التي ترتبط بأفكار وقيم، لن تكون فقط متعذرة وإنما ستكون أيضا غير ملائمة. تدرج القواميس التي يستعملها معظمنا، قواميس التعريف، وحسب قيمتها كقواميس، سلسلة range من المعاني كلها سائدة، وسيكون المهم هنا هو هذه السلسلة. ثم إذا ما مضينا إلى القواميس التاريخية، وإلى مقالات في علم الدلالات التاريخي والمعاصر، سنكون قد تجاوزنا تماما مدى «المعنى الصحيح». نجد تعقيداً وتاريخاً للمعاني؛ تغييرات واعية أو استعمالات مختلفة مقصودة؛ ابتكاراً، وإهمالاً، وتخصصاً، وتوسعاً، وتداخلاً، وتحولاً؛ أو تغييرات متنكرة وكأنها استمرار بحيث أن كلمات بدت وكأنها موجودة منذ قرون أصبحت تدل على معاني وتضمينات مختلفة جذرياً أو متفاوتة جذرياً وإن كان ذلك قد يصعب ملاحظته. من مثل تلك المصادر قد تقفز إلى انتباهنا كلمات مثل industry وfamily وnature؛ بعد سنين من الدراسة قد تظل موضع شك كلمات مثل class وrational وsubjective. في كل هذه الحالات، وفي مجال اهتمام معين نشأ بالطريقة التي وصفتها، استحوذت على فكري مشاكل المعنى وأدت إلى الإدراك العميق بصعوبة التعريف أيا كان نوعه.

الجهد الذي يضمه هذا الكتاب تم القيام به في مساحة تتجمع فيها عدة حقول معرفة لكنها بشكل عام لا تلتقي. اعتمد على مجالات عدة من المعرفة المتخصصة لكن هدفه هو جعل هذه، في الأمثلة المختارة، في متناول الجميع. ليس هذا مدعاة للإعتذار لكنه يتطلب شرحاً لبعض التعقيدات التي تنطوي عليها محاولة مثل هذه. يمكن تصنيف هذه تحت عنوانين عريضين : مشاكل معلومات ومشاكل نظرية.

مشاكل المعلومات حادة. مع ذلك فلكل من يبحث في بنية وتطور المعنى في اللغة الإنجليزية الميزة الفائقة لقاموس أكسفورد العظيم. إنه ليس فقط معلماً على التفوق البحثي لمحرريه Murray وBradley ومن تبعهما، لكنه أيضاً سجلّ لمجهود تعاوني استثنائي من العمل الأصلي للجمعية الفيلولوجية إلى مئات المراسلين اللاحقين. قليلة هي البحوث التي تجرى على كلمات معينة والتي تنتهي بمادة هذا القاموس العظيم، لكن بحوثا أقل يمكن أن تبدأ بثقة لو لم يكن موجوداً. أوافق وليام إمبسون Empson الذي عثر - في كتابه The Structure of Complex Words ـ على

أخطاء كثيرة في القاموس في قوله إن «عملاً على كلمات مفردة مثل ما استطعت القيام به قد اعتمد بشكل يكاد يكون تاماً على استعمال ذلك المؤلَّف المهيب كما هو». لكن ما وجدته في عملي عن قاموس اكسفورد OED، بعد تقديم الاعتراف بالفضل الضروري، يمكن تلخيصه في ثلاث نقاط. كنت على وعي تام بالفترة التي أُلِّف فيها القاموس: في الواقع من ثمانينات القرن التاسع عشر إلى عشرينات القرن العشرين (يقدم أول مثال من سلسلة الملاحق Supplements الحالية إضافة بدلاً من تعديل). لهذا عيبان: بالنسبة لبعض الكلمات المهمة لا يتوفر عملياً دليل لاستعمال القرن العشرين المتطور؛ وفي حالات كثيرة، خاصة بالنسبة لعبارات سياسية واجتماعية حساسة، تبرز افتراضات الرأي السائد (الأرثودوكسي) في تلك الفترة أو تكون قريبة من السطح. كل من يقرأ قاموس دكتور جونسون العظيم يشعر حالاً بعقله المحازب والمؤثر بالإضافة إلى معرفته الفذة. أنا على وعي في تعليقاتي ومقالاتي بأنه بالرغم من أني أقدّم مجموعة المعاني إلا أن مواقفي وخياراتي ليست خافية تماما. أعتقد أن هذا أمر لا مفر منه وكل ما أقوله هو أن الانطباع العام بالموضوعية (لا شخصية) الهائلة الذي يبثه قاموس أكسفورد ليس على تلك الدرجة من الموضوعية أو كونه بحثاً تام التجرد، أو أنه بريء من القيم السياسية والاجتماعية المؤثرة كما قد يفترض من إستعماله من حين لآخر. في الواقع عندما تبحث فيه عن كثب فإنك أحياناً تحصل على نظرة ثاقبة آسرة على مايمكن تسميته إيديولوجية محرريه وأعتقد أنه يتوجب تقبل ذلك وأخذه بعين الإعتبار دون ذلك النمط من المراوغة الذي تنشره فكرة شائعة عن البحث. ثانياً، بالرغم من إهتمامه العميق بالمعاني فإن القاموس هو في الأساس فيلولوجي وإتيمولوجي؛ أحد آثار ذلك أنه أفضل بالنسبة لمجموعة المعاني وتنويعاتها من العلاقة والتفاعل. ولقد وجدت في حالات كثيرة وأنا أعمل بشكل رئيسي على معان وسياقاتها أن الدليل التاريخي فائق القيمة لكنى توصلت منه إلى نتائج مختلفة بل وأحياناً مناقضة. ثالثاً، في حالات معينة نُبهت بطريقة حادة جداً بما حدث مؤخرا في دراسات اللغة من تغيير في المنظور: لأسباب واضحة (على الأقل من التدريب الأرثودوكسي الأساسي في اللغات الميتة) اعتبرت اللغة المكتوبة هي مصدر المرجعية الحقيقي وأن اللغة المحكية في الواقع مشتقة منها؛ بينما نعرف الآن بوضوح أن الوضع الصائب هو عكس ذلك. النتائج معقدة. في عدد من الكلمات الفكرية بشكل رئيسي تشكّل اللغة المكتوبة المرجع الأقرب إلى الحقيقة. لو أردنا تتبع كلمة psychology السجل كاف على الأرجح حتى أواخر القرن التاسع عشر. أما إذا شئنا تتبع كلمة job فإننا نلاحظ حالاً أن تطورات المعنى في كل مرحلة لا بد وأن حدثت في الكلام اليومي زمناً قبل إدراجها في السجل المكتوب. هذا قصور يجب أخذه في الاعتبار ليس فقط بالنسبة للقاموس ولكن في أي تدوين تاريخي. في الواقع بعض التقصير أو الانحياز في بعض المجالات لا مفر منه. يجب دوماً قراءة الإشارات الزمنية للأصل والتحوّل بهذا التحفّظ والشرط. يمكنني إعطاء مثال من تجربة شخصية. في مراجعتي الملحق Supplement الأخير أبحث عن الاستعمال

المعاصر العام للكلمة communications وجدت مثالاً وتاريخاً تصادف أن كانا من أحد مقالاتي. والآن لقد اتضح أن في الامكان ليس فقط العثور على أمثلة مكتوبة من تاريخ أسبق وإنما أن هذا المعنى كان مستعملاً في الحديث وفي النقاش - وفي اللغة الإنجليزية الأمريكية - قبل ذلك بكثير. لا أبين ذلك من أجل الانتقاد. بالعكس، هذه الحقيقة عن القاموس هي حقيقة عن كل عمل من هذا النوع ويجب تذكرها خاصة عند قراءة ما دونته هنا.

أضفت، بالنسبة لكلمات معينة، عدداً من أمثلتي الخاصة وذلك من قراءاتي العامة أو المحددة. لكن كل تدوين لا بد بالطبع وأن يكون قاصراً بصورة خطيرة، كما ولا بد أيضا أن يكون إنتقائياً. إن مشاكل المعلومات الكافية حادة بل قد تكون معطِّلة، لكن ليس في الإمكان دائماً الإشارة إليها بطريقة مناسبة أثناء التحليل. مع ذلك يجب تذكرها دوماً. هناك قصور معين كنت على وعي كبير به. معظم الكلمات الأهم التي عملت عليها طورت معاني رئيسية في لغات سوى الإنجليزية، أو مرت عبر تطور معقد ومتفاعل في عدد من اللغات الرئيسية. وحيث تمكنت جزئياً من القيام بذلك، كما هو الحال مع alienation أو culture، فالأهمية من الوضوح حتى لنفتقدها إذا ما تعذر مثل ذلك التقصي. إن القيام بدراسات مقارنة مماثلة بطريقة مرضية سيكون جهداً تعاونياً دولياً عظيماً، وصعوبة ذلك تقدم التبرير الكافي. واجه بحث في معاني كلمة democracy ديمقراطية رعته اليونسكو، وكان الهدف منه أن يكون شاملاً ومقارناً، صعوبات كثيرة من هذا النوع، على الرغم من أن التقرير المحدود الذي لجأ إليه نيس Naess وزملاؤه كان مفيداً للغاية. لدي تجربة كافية في محاولتي مناقشة تعبيرين ماركسيين رئيسيين base - قاعدة و superstructure بنية فوقية - ليس فقط بسبب علاقتهما بأصولهما الألمانية وإنما كذلك بحديثي مع أصدقاء من فرنسا وإيطاليا وأسبانيا وروسيا والسويد حول صيغ هاتين الكلمتين في هذه اللغات الأخرى، إذ تبين لي كم هي النتائج صعبة وآسرة، كما تيقنت من أن مثل هذا التحليل المقارن حاسم في أهميته ليس فقط فيلولوجيا ولكن أيضا كقضية مركزية في الوضوح الفكري. إن الأمل عظيم في توفر سبل لتشجيع ودعم مثل هذه البحوث المقارنة، لكن في الوقت الراهن يجب ملاحظة أنه بينما حدثت بعض التطورات الرئيسية التي لها أهمية عالمية الآن في الإنجليزية أولاً، هناك تطورات كثيرة تمت في لغات أخرى، وبالتالي لا يمكن فهمها في نهاية المطاف إلا بالمقارنة المنتظمة بين هذه اللغات. على القراء ملاحظة هذا وتذكر هذا التقييد في تعليقاتي ومقالاتي. هذا التقييد يبرز بشكل خاص في التطورات المبكرة جدا في اللغات الكلاسيكية وفي لاتينية القرون الوسطي، حيث اعتمدت ببساطة بشكل يكاد يكون كاملا بانتظام على المراجع المتوفرة، بالرغم من بقاء كثير من الأسئلة مثارة في ذهني. هذا صحيح حقا على مستوى الأصول من كل ضرب ويجب اعتباره تحفظاً مهماً .

يثير هذا إحدى المشاكل النظرية. من المعتاد التحدث عن معنى «صحيح» أو «دقيق» لكلمة، وذلك بالرجوع إلى الأصل. أحد آثار هذا النوع من التعليم الكلاسيكي، خاصة بالتضافر مع نظرة محددة لوظيفة القواميس كمعرِّفة، هو إنتاج ما يمكن تسميته موقفاً خاشعا «sacral» تجاه الكلمات وما يقابله من شكاوى عن سوء فهم أوسوء استعمال فج في الوقت الحاضر. إن المعاني الأصلية للكلمات دائماً ما تحظى بالاهتمام، لكن ما هو في الغالب أكثر إثارة للانتباه هو التنويعات اللاحقة. التذمر الذي تنشره الصحف حول سوء استعمال الكلمات الفج يكون دائما حول تطورات حديثة جداً. سيبين أي اختيار عشوائي من التطورات الفعلية للمعنى أن ما يعتبر إنجليزية «فصيحة correct»، والذى غالبا مايتضمن الكثيرمن الكلمات التي تستعملها مثل هذه الشكاوى، إنما هو نتيجة لمثل هذا النوع من التغيير. الأمثلة من الكثرة بحيث لا يمكن إيرادها هنا، لكن القارئ مدعو ليتأمل عددا محدودا فقط: interest أو determine أو improve، وربما كانت الكلمات organic وevolution وindividual أمثلة أكثر وضوحا. في الغالب قدم لي اكتشاف أصل مفتاحاً للتحليل، لكن لا مجال، سواء على مستوى الممارسة أو التنظير، للتسليم بأن المعنى الأصلي هو الحاسم (وإلا فأين موقعنا من aesthetic؟) أو التسليم بمصدر مشترك على أنه الموجِّه (وإلا فأين سنكون بالنسبة لكلمات peasant وpagan، أو idiot وidiom، أو employ وimply ؟). تشمل حيوية أية لغة كل نوع من التوسع والتنويع والتحور، ينطبق هذا على التغيير في زمننا (مهما قد نأسي لأمثلة معينة) مثلما ينطبق على التغييرات في الماضي التي يمكن الآن إعطاؤها مظهراً sacral. (كلمة sacral نفسها هي خير مثال؛ فإن التوسع من معناها البدني الذي دل على «عجز/ شرج» إلى معناها المضمن الازدرائي الدال على موقف من the sacred المقدس ليس دعابة من عندي وإنما هو دعابة هادفة ومن ثم فهو إستعمال هادف.)

المشاكل النظرية الأخري أشد تعقيداً. هناك مشاكل أساسية ومعقدة جداً في أي تحليل لعمليات المعنى. يمكن بطريقة مفيدة فرز بعضها بصفتها مشاكل دلالة عامة: العلاقات الصعبة بين الكلمات والمفاهيم؛ أو العمليات العامة للمعنى والإشارة؛ بل وإلى أبعد من هذه، هناك القواعد العامة في المعايير الاجتماعية وفي نظام اللغة نفسها، التي تمكن من توليد المعنى والإشارة وتمكن كذلك، ولحد كبير من ضبطها. فحصت هذه المشاكل بانتظام وبطريقة مجدية في فلسفة اللغة وفى اللغويات النظرية ولا شك في أنها كمشاكل أساسية تؤثر كثيرا في تحليل معين.

لكن، ولأن كلمة «معنى meaning» بأي مفهوم فعال هي أكثر من عملية الدلالة «signification» العامة، ولأن «المعايير» و«القواعد» هي أكثر من خصائص أي نظام أو عملية مجردة فإن أنواعاً أخرى من التحليل تظل ضرورية. إن تركيز تحليلي هو بطريقة مدروسة اجتماعي وتاريخي. أما بالنسبة لأمور المرجعية والادراك التي تشكل تحليلياً الأساس لأي استعمال فإنه من الضروري الإصرار على أن مشاكل المعنى الأكثر تأثيراً دائماً تكمن داخل علاقات فعلية وأن كلاً

من المعاني والعلاقات بطريقة نمطية متنوع ومتقلب ضمن بنيات نظم اجتماعية معينة وعمليات التغيير الاجتماعي والتاريخي.

لا يعني هذا أن اللغة تعكس فقط عمليات المجتمع والتاريخ. على العكس، هدف جوهري لهذا الكتاب هو إثبات أن بعض العمليات التاريخية والاجتماعية تحدث «داخل» اللغة بطرق تبين إلى أي مدى تتكامل فعلاً مشاكل المعاني ومشاكل العلاقات. أنواع جديدة من العلاقة بالإضافة إلى طرق جديدة لرؤية علاقات قائمة تظهر في اللغة في أشكال مختلفة: في سك كلمات جديدة (capitalism)؛ في تبني وتحوير (في الواقع أحياناً قلب) تعابير قديمة (society أو individual)؛ في توسع (interest) أو نقل (exploitation). لكن كما يجب أن تذكرنا هذه الأمثلة فإن التغييرات ليست دائماً بسيطة أو نهائية. تتعايش معاني سابقة ولاحقة أو تصبح فعلاً بدائل تتم فيها منازعة ونقاش مسائل الاعتقاد أو الانتماء المعاصرة. من المؤكد ضرورة تحليل هذه المشاكل وأخرى لاحقة على أنها مشاكل دلالة عامة لكن تركيزي هنا يقع على مفردات المعاني في مجال جدل واهتمام تم اختياره بطريقة مدروسة.

كان منطلقي، كما ذكرت، ما يمكن تسميته بالعنقود، مجموعة معينة لما أصبح يبدو كلمات ومراجع مترابطة والتي منها تطور فيما بعد اختياري الأشمل. لذا فإن الهدف الجوهري للكتاب هو التوكيد على الترابطات التي يبدو لي أن بعضها منهجية بطرق جديدة على الرغم من مشاكل العرض التي سأناقشها. يمكن الجدل بالطبع حول ضرورة عدم فصل الكلمات المفردة حيث أنها تعتمد في معانيها على سياقها الفعلي. على مستوى معين يمكن التسليم بذلك بسهولة. في الواقع كثير من المعاني المتغيرة التي حلّلتها حددها السياق. لذا أوضح بشكل رئيسي المعاني المختلفة عن طريق أمثلة فعلية من استعمال مسجل.

لكن لا يمكن أبداً إلغاء مشكلة المعنى تماماً في السياق. صحيح إنه في النهاية لا تقوم أبداً كلمة بمفردها حيث أنها دائماً جزء من العملية الاجتماعية للغة وتعتمد استعمالاتها على الخصائص المنهجية المعقدة (لكن المتغيرة) للغة نفسها. مع ذلك يظل مفيداً اختيار كلمات معينة، من النوع الإشكالي، ومؤقتا دراسة بنياتها وتطوراتها الداخلية. هذا هو الوضع حتى عندما يهمل التقييد «مؤقتاً» من قبل صنف قارئ مقتنع بالإصرار على حقائق العلاقة والتفاعل التي منها نشأ البحث ككل. في أنواع اختزالية من التحليل فقط يمكن دراسة عمليات العلاقة والتفاعل كما لو كانت علاقات بين وحدات بسيطة. في الواقع نشأ كثير من هذه العمليات ضمن المعنى المعقد والمتغير لكلمات معينة والطريقة الوحيدة لإيضاح ذلك، كأمثلة على كيف تتطور شبكات من الاستعمال والإسناد والمتطور، هي في التركيز «مؤقتاً» على ما يمكن عندئذ ملاحظته على وجه الدقة كبنيات داخلية. هذا ليس للإعاقة ولكن ليصبح في الإمكان مفهوم مفردات متوسعة ومعقدة تكون ضمنها كل من الكلمات المتغيرة وعلاقاتها المتغيرة والمتنوعة في الواقع فعالة.

إذاً دراسة كل من المعاني المعينة والمترابطة عند كتاب ومتحدثين مختلفين وفي الزمن التاريخي وعبره هي اختيار مدروس. القيود واضحة ومسلم بها. التركيز بنفس المقدار واضح وواع. أحد أنواع علم المعاني دراسة المعنى كما هو؛ نوع آخر هو دراسة نظم الدلالة الرسمية. نوع علم المعاني الذي تنتمي إليه هذه التعليقات والمقالات هو أحد الاتجاهات ضمن علم المعاني التاريخي: اتجاه يمكن بطريقة دقيقة تحديده عندما نضيف بأن التركيز ليس فقط على الأصول والتطورات التاريخية ولكن أيضاً على الحاضر - المعاني والعلاقات والتضمينات في الزمن الحاضر - كتاريخ . يعترف هذا، كما يتوجب على أية دراسة لغة، بأن هناك جماعة/اتحاد community بين الماضي والحاضر لكن كذلك بأن community ـ تلك الكلمة الصعبة ـ ليست هي المسمى الوحيد الممكن لتلك العلاقات بين الماضي والحاضر؛ وبأن هناك أيضاً نزاع وانقطاع وتغيير جذري وأن كل هذه ما زالت مجال خلاف وأنها فعلاً مستمرة الحدوث. المفردات التي اخترتها هي تلك التي يبدو لي تشمل الكلمات الأساسية التي يستخدم فيها في هذا المجال كل من الاستمرار والانقطاع وكذلك نزاعات شديدة في القيم والاعتقاد . كذلك يجب بالطبع وصف عمليات مثل هذه بطريقة مباشرة في تحليل نظم المفاهيم وقيم المجتمع المختلفة. ما تسعى هذه التعليقات والمقالات إلى الإسهام به هو نوع إضافي من المقاربة وذلك عن طريق المفردات ذاتها.

ذلك لأني أعتقد أنه ممكن الإسهام بأنواع معينة من الإدراك وأنواع معينة أكثر محدودية من الإيضاح عن طريق تناول كلمات معينة في المستوى الذي تستخدم فيه عادة وهذا كان، لأسباب على الأرجح توضحها أو لها صلة بأعمالي الأخرى، هدفي الأسمى. لدي مادة أكثر من كافية عن كلمات معينة (مثلاً class وculture) وعن تشكيلات معينة (مثلاً art و aesthetic وsubjective وpsychological وunconscious) لكتابة - كبديل - دراسات متخصصة موسعة بعضها في حجم كتاب. قد أفعل ذلك في النهاية، لكن اختيار شكل عام ومدى أوسع كان مقصوداً. لا أؤيد نظرة التفاؤل - أو النظريات التي تدعمها - بالنسبة لذلك النوع من علم المعاني من فترة ما بين الحربين وما بعدها، والذي افترض فيه أن إيضاح الكلمات الصعبة سيسهم في حل الخلافات التي تنشأ بسببها لكنها كثيرا ما تتسبب في الفوضى والإرباك . أعتقد أن فهم تعقيدات معاني كلمة class لا يسهم الا بالقليل جدا في حل الخلافات الفعلية للطبقة والنضال الطبقي. ليس الأمر فقط أن لا أحد بوسعه «تصفية لهجة القبيلة»، وأن لا أحد ممن يرى أنه حقا عضو في مجتمع، يعرف أكثر من أن المحاولة بهذه الصيغة عديمة الجدوى. كذلك فالتنوعات والاضطراب في المعنى ليست فقط أخطاء في النظام أو غلطات في الاسترجاع feedback، أو قصوراً في التعليم. إنما هي حسب رأيي ذات تكوين تاريخي ومعاصر في الكثير من الحالات. والحق أنه كثيرا ما كان يصر عليها كتنويعات، لا لسبب إلا لأنها تجسد خبرات مختلفة وقراءات، وسيستمر ذلك قائماً في العلاقات الفعلية وفي النزاعات، رغم محاولات الإيضاح من قبل الباحثين واللجان. إن ما يمكن فعلاً

الإسهام به ليس فض النزاع، وإنما ربما، في بعض الأحيان، فقط تلك «الحافة» من الوعي. في تاريخ اجتماعي تشكلت فيه كثير من المعاني الحاسمة من قبل الطبقة المهيمنة ومن قبل مهن معينة تعمل إلى حد كبير حسب شروطها، فإن معنى «حافة» دقيق. هذه ليست مراجعة محايدة للمعاني. إنها فحص لمفردات مجال هام من النقاش الثقافي والاجتماعي، نقاش ورث داخل ظروف اجتماعية وتاريخية دقيقة وأصبح من الضرورى جعله في نفس الوقت واعياً وحاسماً - عرضة للتغيير كما هو عرضة للاستمرار - إذا كان للملايين من الناس الذين تنبض فيهم أن يعتبروها فعالة: هي ليست تراثاً يلقن، ولا هي إجماعاً يسلم به، ولا مجموعة من المعاني لها سلطة طبيعية لأنها «لغتنا»؛ وإنما كتشكيل وإعادة تشكيل في ظروف واقعية، ومن وجهات نظر بالغة الأهمية وعميقة الاختلاف: مفردات للاستعمال، نغيرها عندما نجد ضرورة لتغييرها بينما نشق طريقنا ونحن نستمر في صنع لغتنا وتاريخنا.

في الكتابة عن حقل المعاني غالباً ما تمنيت أن تبتكر صيغة للتقديم توضح كيف ترتبط تحليلات كلمات معينة، جوهريا، بطرق أحياناً ما تكون معقدة. يبدو أن التدوين الأبجدي الذي استقريت عليه يحجب هذا في أحوال كثيرة، وإن كان استعمال الإحالات المتقاطعة cross-references لابد أن يذكر بالعلاقات الضرورية الكثيرة. تكمن الصعوبة في أن أي ترتيب آخر، حسب المجال أو الموضوع، سيقيم مجموعة علاقات بينما يطمس أخرى. لو وضعت مثلاً representative في مجموعة من كلمات سياسية ربما تتمركز حول democracy، فقد نغفل عن نقطة مهمة في التداخل بين حكومة نيابية representative government وفن تمثيلي representative art. أو لو وضعت كلمة realism في مجموعة كلمات أدبية مركزها literature أو art فقد نلاحظ بسهولة تداخلاً من نوع آخر، له إيحاءات فلسفية عند وصف مواقف في الأعمال والسياسة. من السهل جداً كتابة وتصنيف مفردات متخصصة لمواضيع أكاديمية معروفة ومستقلة ولمجالات اهتمام واضحة ولكل هذه بالطبع فوائدها. يمكن لقوائم الكلمات أن تكون أشمل ويمكن تجنب مشاكل التداخل عن طريق الاقتصار المدروس على معاني التخصص. لكن، ولما كان بحثي كله داخل مجال المعاني العامة وعلاقات المعاني، فإنني لم أتمكن من الكمال ولا من التقييد الواعي لمجالات متخصصة مقصودة. في تناولي نقاشاً عاماً للثقافة والمجتمع فقدت دعائم التصنيف التقليدي حسب الموضوع ومن ثم اضطررت للاحتفاظ بالتصنيف التلقيدي الأبسط: الترتيب الأبجدي. ومع ذلك، وبما أن الكتاب لا يكتمل إلا بقراءته فإني آمل أن يسهل الترتيب الأبجدي الاستعمال المباشر، ثم يوحي للقارئ بأنواع أخرى من العلاقة والمقارنة وقد يشجع على المواصلة عن طريق اختيار وترتيب مختلف تماماً.

في هذا، كما في نواحى أخرى، فإننى على وعي فائق بكمّ القراءة والتفكير الذي يتطلب لإنجازه. ومعظمه في الواقع لا يتم إلا من خلال النقاش، الذي هو من بين أغراض هذا الكتاب. ولقد توجب علي كثيرا أن أتوقف عندما يلزم نوع آخر من التحليل - نقاش نظري موسع أو بحث

تاريخي واجتماعي مفصل. السير في هذه الاتجاهات الأخرى كان يعني حصر عدد الكلمات المدروسة ونطاقها ولقد كان لهذا المجال المقام الأول في هذا الكتاب على الأقل. لكن يمكن أيضاً القول بأن هذا كتاب يرحب فيه المؤلف، بكل تأكيد، بالتعديل والتصحيح والإضافة علاوة على الرسائل والتعليقات المعتادة. إن طبيعة المشروع ككل هي من هذا النوع. هنا مجال هام من المفردات. إن مايمكن عمله في القواميس محدود بالضرورة بشموليتها التامة وبالمقياس الزمني الطويل للمراجعة التي يفرضها ذلك بالإضافة إلى عوامل أخرى.

البحث الحالي أكثر محدودية - فهو ليس قاموساً ولكن مفردات - ممايجعله أكثر مرونة. كان ناشر الكتاب من اللطف بحيث ترك صفحات بيضاء، ليس فقط لتسجيل ملاحظات وإنما كإشارة إلى أن البحث لم يكتمل بعد وأن المؤلف يرحب بكل التعديلات والتصحيحات والإضافات. في استعمال لغتنا المشتركة، في مجال بهذه الأهمية، هذه هي الروح التي يمكن فيها لهذا العمل أن ينجز بدقة.

يتوجب علي شكر أشخاص أكثر مما أستطيع أن أذكرهم أسهموا في هذه التحليلات عبر السنين في أنواع كثيرة من النقاش الرسمي وغير الرسمي. يجب كذلك بصفة خاصة أن أشكر محرري Mr. R.B Woodings الذي لم يكن فقط مساعداً فائقاً بالنسبة للكتاب وإنما كزميل سابق زارني في اللحظة التي كنت أقرر فيها ما إذا كان الملف سيصبح كتاباً وكان تشجيعه عندئذ حاسما. ساعدتني زوجتي عن قرب في كل مراحل الكتاب. عليّ أيضا أن أسجل مساعدة Mr. W.G. Heyman العملية الذي أخبرني كطالب عندي في فصل تعليم كبار بعد مناقشة إحدى الكلمات أنه قد بدأ وهو شاب في شراء الأجزاء الورقية لقاموس اكسفورد العظيم، ثم فاجأني فيما بعد بحضوره الفصل ومعه ثلاثة صناديق كرتونية مليئة بها، وألح علي أن أقبلها. أكن شعوراً خاصاً لذكراه، وعبرها للأجزاء الورقية هذه نفسها - وهي تختلف تماماً عن المجلدات والورق المصقول في نسخ المكتبات؛ الورق الخشن غير المقصوص المصفر والمفتت، العناوين الباقية في الذاكرة التي استعملتها عبر السنين: من Deject إلى Deprevation، منHeel إلى Hod، من R إلى Reactive وهكذا. هذا كتاب صغير أقدمه مقابل هذا المقدار من الاهتمام واللطف.

ريموند وليمز

كمبردج، 1975، 1983

جمالي (الجمالية) AESTHETIC

ظهر التعبير أول ما ظهر في اللغة الإنجليزية في بداية القرن التاسع عشر ولم ينتشر قبل منتصفه، وعلى الرغم من صيغته اليونانية فإنه مستعار من الألمانية بعد تطور خلافي ونقدي في تلك اللغة. في البداية استخدم في صيغته اللاتينية كعنوان لمؤلف من جزأين: الجماليات (1750-1758) Aesthetica لمؤلفه الكسندر باومجارتن Alexander Baumgarten (1714 - 1762). عرّف باومجارتن الجمال «beauty» بالكمال المدرك بالحواس، وتكمن أهمية ذلك، بالنسبة للفن، وضع هذا التعريف كثيراً من التركيز على الإدراك من خلال الحواس، وهو ما يفسر كلمة باومجارتن الجديدة في جوهرها والمشتقة في الأساس من «aisthesis» اليونانية التي تعني الإدراك الحسي. في اليونانية كانت الإشارة الأساسية إلى أشياء مادية، أي أشياء يتم إدراكها عن طريق الحواس تمييزا لها عن أشياء غير مادية أو تلك التي لا تدرك إلا من خلال إعمال الفكر. كان استعمال باومجارتن الجديد جزءاً من التركيز على النشاط الذاتي للحواس وعلى الإبداع الإنساني المتخصص للفن الذي أصبح سائدا في هذه الحقول، والذي ورث هذه الكلمة - العنوان، على الرغم من أن الكتاب لم يترجم وكان محدود التوزيع. لدى كانت Kant أيضاً كان الجمال يعتبر في الأساس وبشكل حصري ظاهرة حسّية لكنه اعترض على استعمال باومجارتن وعرّف علم الجمال «aesthetics» بالمعنى اليوناني الأصلي والأشمل لعلم «حالات الإدراك الحسّي». ولقد وجد كلا الاستعمالين في أمثلة إنجليزية متفرقة (أوائل القرن 19)، لكن عند منتصف القرن التاسع عشر تصبح الإشارة إلى «الجمال» «the beautiful» مسيطرة، وهناك ارتباط قوي منتظم بالفن. في 1879 استعمل لويز Lewes تهجية اشتقاقية مختلفة «aesthesics» في تعريفه لـ «العلم المجرّد للشعور». لكن «anaesthesia»، وهي قصور في الإحساس البدني، كانت تستخدم من أوائل ق 18 ومن منتصف ق 19، ومع تقدم الطب استعملت «anaesthetic» ـ صيغة النفي للصفة المتزايدة في شعبيتها - بشكل واسع بالمعنى الأساسي الشامل لتدل على الحرمان من الشعور أو العامل المسبّب لهذا الحرمان. قاد هذا الاستعمال المباشر لصيغة النفي في النهاية إلى صيغ نفي أخرى مثل «unaesthetic» و«nonaesthetic»، اللتان لهما صلة بالاستعمال السائد الذي يدلّ على الجمال أو الفن.

تمنّى كولردج «Coleridge» في 1821 أن يستطيع العثور على كلمة مألوفة أكثر من «aesthetics» لأعمال «الذوق» «TASTE» و«النقد» CRITICISM (أنظر المصطلح: 31)، وحتى 1842 كان يشار إلى «aesthetics» على أنها «عبارة سخيفة متحذلقة». في 1859،

ورغم فهم السير وليام هاملتون لها «كفلسفة الذوق» و«نظرية الفنون الجميلة»، و«علم الأشياء الجميلة»، الخ، ورغم اعترافه بتقبلها العام «ليس فقط في ألمانيا ولكن أيضاً في كل بقية دول أوربا»، فإنه ظل يعتقد أن «apolaustic» كانت أكثر ملاءمة. لكن الكلمة ترسّخت وأصبحت على نحو متزايد شائعة مع التباس مستمر (هذا الالتباس كان ضمن النظرية نفسها التي أدت إلى سنّ هذه الكلمة) بين الإحالة إلى الفن والإشارة الأعم إلى الأشياء الجميلة. بحلول 1880 أصبح الإسم «محب الجمال» «aesthete» منتشر الاستعمال وفي أغلب الحالات بشكل ازدرائي. نمت مهاجمة مبادئ وممارسات «الحركة الجمالية» التي تكونت حول ولتر باتر Walter Pater والاستهزاء بها (أفضل مثال لا يزال في الذاكرة هو عمل جلبرت Gilbert: Patience (1880). يتزامن هذا مع رد فعل مشابه حول استعمال ماثيو آرنولد وآخرين لكلمة «ثقافة» «culture». لم تستعد «aesthete» إيجابيتها بعد هذا الاستعمال، والاسم الحيادي المتعلق بالجمالية كدراسة نظامية هو الكلمة الأقدم (م ق 19) aesthetician. بعيداً عن استعمالاتها المتخصصة في نقاش الأدب والفن فإن الصفة «aesthetic» تشير الآن في استعمالها العام إلى مسائل المظهر والتأثير النظري.

واضح من هذا السرد التاريخي أن كلمة «aesthetic» بدلالاتها المتخصصة للفن ART (ا م)، للمظهر النظري، وإلى صنف ما هو «جميل» و«بديع»، هي تشكيل رئيسي في مجموعة من المعاني، وهي في نفس الوقت تؤكد وتعزل نشاط الحس الذاتي SUBJECTIVE (ا م) كأساس للفن والجمال في تمييز له عن، مثلاً، التفسيرات الاجتماعية والثقافية. إنها تشكل عنصرا في التفكير الحديث المنقسم في نظرته إلى الفن والمجتمع. إنها دلالة بعيدة عن الاستعمال الاجتماعي والتقييم الاجتماعي، يقصد بها، مثل معنى خاص للثقافة، التعبير عن بعد إنساني يبدو أن التفسير الطاغي لـ«مجتمع» يقصيها. يمكن فهم التوكيد لكن العزل قد يكون مضرّاً، فهناك الآن نظرة تهميشية وإقصائية بشكل عارم في العبارة الشاملة والمقيدة: «اعتبارات جمالية»، خاصة عند مقارنتها باعتبارات عملية practical أو نفعية UTILITARIAN (ا م) التي هي عناصر من نفس التقسيم الأساسي.

استلاب ALIENATION

هذه الآن واحدة من أصعب الكلمات في اللغة. بمعزل تام عن استعمالها الشائع في سياقات عامة، فإنها تحمل معاني محدّدة مختلف عليها في نطاق من المعرفة يمتد من

النظرية الاجتماعية والاقتصادية إلى الفلسفة وعلم النفس. إضافة إلى ذلك، منذ منتصف القرن العشرين، انتقلت من مجالات مختلفة في هذه المعارف إلى استعمالات عامة جديدة تكون فيها الكلمة عادة مشوشة بسبب التداخل والالتباس لكل من المعاني المحّددة المختلفة والمعاني القديمة الأعم.

على الرغم من أن لها مظهر المصطلح المعاصر فإنها كلمة موجودة في اللغة الإنجليزية منذ قرون بمدى واسع من المعاني لا يزال سارياً. سابقتها المباشرة هي aliénacion، فرنسية قروسطية، من alienationem، لاتينية، من (س ب) :alienare يجعل غريبا أو يجعل غيريا؛ هذه لها صلة بـ alienus، لاتينية: تخص أو تنتمي إلى شخص أو مكان آخر، من (س ب) : alius آخر، غير. استخدمت في الإنجليزية من ق 14 لوصف فعل الإقصاء أو حالة الإبعاد، (1): في المعتاد بخصوص القطيعة مع الإله أو كون المرء محروما من الإله، أو انهيار العلاقات بين رجل أو مجموعة وسلطة سياسية ما معترف بها. من ثم استعمالها من ق 15 لوصف عملية نقل ملكية أي شيء من طرف إلى آخر، (2): خاصة نقل حقوق أو ممتلكات أو أموال. في البداية كانت هناك معاني ثانوية إضافية لمعنى (2) حيث يكون النقل بحيلة من المستفيد (اختلاس) أو حيث يعتبر النقل تحولا عن المالك الأصلي أو الغرض الملائم. طغت في النهاية هذه المعاني السلبية لـ (2) واستمر المعنى القانوني لنقل طوعي ومقصود، لكن أصبح النقل غير الملائم، غير الطوعي أو حتى القسري، هو المفهوم الطاغي. ثم زاد التوسع ليشمل، إضافة إلى ذلك، نتائج مثل هذا النقل، حالة كون شيء تم استلابه (3). بالقياس، استعملت الكلمة، كما حدث في اللاتينية، بشكل أوسع (من ق 15) لتعني فقدان، تراجع أو تعطيل المقدرات الذهنية وبالتالي الجنون(4).

بشكل أو آخر تم الرجوع إلى كل هذه الدلالات السابقة في نطاق المعاني المحدّدة المعاصرة وفي معظم الاستعمالات الناجمة عن ذلك. بحلول أوائل ق 20 استعملت الكلمة استعمالاً شائعاً بطريقة رئيسية في سياقين محدّدين: نقل ممتلكات رسمية alienation، وفي العبارة: «استلاب العاطفة» «alienation of affection» (من م ق 19) بمعنى التدخل المقصود والمدبر في العلاقة العائلية المعتادة، خاصة تلك التي بين الزوج والزوجة. لكن أصبحت الكلمة فعلاً مهمة، بل أصبحت في بعض الأحيان مفهوماً أساسياً، في نظم ذهنية قوية ومتطوّرة.

هناك عدة صيغ معاصرة لمعنى (1). هناك المعنى الديني المتبقي الذي عادة ما يدل